الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

معهد الأدب و اللغة

جامعة بشار

لطفي بوقربة

أستاذ مكلف بالدروس

محاضرات في اللسانيات الاجتماعية

[اكتب العنوان الفرعي للمستند]

محاضرات في اللسانيات الاجتماعية [1]

إعداد : لطفي بوقربة
أستاذ مكلف بالدروس بمعهد الأدب العربي و العلوم الإنسانية .
جامعة بشار

- تعريف اللسانيات الاجتماعية :

جاء في معجم مفاتيح العلوم الإنسانية للدكتور خليل أحمد خليل : لسانة ناسيّة أو ناسيّة لسانية Ethnolinguistique و اللسانيات الاجتماعية sociolinguistique يصعب التفريق الواضح بين اجتماعيات اللسانة و الناسيّات اللسانية ethnolinguistique ة لكن هذين العلمين لا يدرسان المجتمعات نفسها : فالناسيات اللسانية تهتم بالمجتمعات البسيطة التركيب - أي العريقة و البدائية و الأولى . أما اجتماعيات اللسانة تدرس المجتمعات المركبة المتحضرة .

مرادفات اللسانيات الاجتماعية كثيرة في العلوم الإنسانية منها :

- اللسانة الاجتماعية sociolinguistique
- اللسانة الإناسية linguistique anthropologique
- اجتماعيات اللغة sociologie du langage
- الجغرافيا اللسانية .

إلا أن اللسانة الناسيّة التي أدرجها عدد من العلماء حقلا من حقول اللسانيات الاجتماعية أو علم الاجتماع اللغوي , أدرجها البعض الآخر في مجال أوسع , لكونها لا تكتفي بالعمل على مستوى اللامتغيرات invariants بل تسعى لأن تدرس المراسلة message اللسانية في ارتباطها بمجمل ظروف التواصل و التخاطب أو التوصيل و الإبلاغ communication .

من أرز المسائل التي تهتم بها اللسانة ناسية :

---

[1] - هي مجموعة محاضرات ألقاها الأستاذ بوقربة لطفي على طلبة السنة الثانية لمعهد الأدب التابع المركز الجامعي بشار سابقا في السنة الجامعية 2002 - 2003 .

المقايسة بين اللغة و رؤية العالم ، وفقا لأصول التصنيفات المعجمية و التصنيفات اللغوية .
دراسة التأملات العقلية المتكلمين في اللغة و الألسن .
دراسة التواصل أو الإبلاغ .

اللسانيات الاجتماعية ،كما هو واضح من التعريف السابق ، تخصص علمي يجمع كل من : علم اللسانيات ،و علم الاجتماع , و علم السلالات البشرية l'ethnologie و علم الجغرافيا البشرية ، و علم اللهجات .

اللسانيات الاجتماعية تدرس العلاقات القائمة بين اللغة و الأفراد من جهة ، و بينهما و بين المعطيات الاجتماعية ، كأن تدرس العلاقة ما بين اختيار الفرد لنمط محدد من الاتصال , و الوضعية الاجتماعية التي يوجد فيها الـــفرد .

تتدخل اللسانيات الاجتماعية في وضع سياسات التخطيط اللغوي في الدول المتعددة اللغات .

- نشأة اللسانيات الاجتماعية :

في الفترة التي كان فيها العالم السويسري فرديناند دو سوسير يضع القواعد للسانيات البنيوية التي تُعني يالبنيات الداخلية للغة , كان العالم الفرنسي أنطوان ميلي Antoine Meillet 1886-1936 يلح في بحوثه اللسانية على الصلة الموجودة بين اللغة و المجتمع . و قد تأثر أنطوان ميلي بنظريات عالم الاجتماع الفرنسي دوركايم . بيّن ميلي في مقال نشره بعنوان كيف تغير الكلمات معانيها ؟ ما للغة و المتغيرات اللسانية من تداخل بواقع الطبقات الاجتماعية و ضح الطريقة التي تعمل بمقتضاها الوقائع اللسانية و التاريخية و الاجتماعية في تغير معاني الكلمات . أكد أن تاريخ اللغة محكوم بالوضع الحضاري العام للأمم ، و أن الكلام فعل اجتماعي ، و أن وظيفة اللساني هي تحديد طبيعة كل بنية لسانية مع إبراز البنية الاجتماعية التي توافقها .

و على الرغم من أهمية ما طرحه أنطوان ميلي ، لم تجد نظرياته أدنى اهتمام من علماء اللسانيات , فظلت مهملة طيلة سنوات حتى ظهر علماء اللسانيات الماركسيين ، و علماء اللسانيات الاجتماعيين الأمريكيين .

- اللسانيات الماركسية :

لم يعتن مؤسسا الماركسية كارل ماركس و فريدريك أنجليز في أبحاثهما النظرية أو التطبيقية بالمسألة اللغوية , و إنما اهتم بها أخ زوجة كارل ماركس بول لفارج Paul Lafargue , 1842-1911. أكد بول في مقال اللغة الفرنسية قبل الثورة la langue française avant et après la Révolution نشره عام 1894 أثر حدث تاريخي سياسي و اجتماعي على المعجم اللغوي .

وضح أن الثورة الفرنسية 1789 قد غيرت المعجم اللغوي الفرنسي , و سجل عددا كبيرا من الكلمات الجديدة في اللغة الرسمية , بعضها كان من قبل مستعملا في الأوساط الشعبية .

و مهما يكن من أمر , فإن لفارج، على الرغم من صدق ملاحظاته , لم يستطيع بلورة طرح نظري عميق للكشف عن البعد الاجتماعي للغة .

تطور البحث الماركسي بعد ذلك في الفترة الممتدة ما بين 1920 - 1950 , و تمركزت أبحاث اللسانيين الماركسيين على دراسات نيكولاي مار Nikolaï Marr 1865-1934 . أبرز مار أن للطبقات الاجتماعية أثرا ظاهرا على اللغة . أشار إلى أن العامل الفرنسي و العامل الألماني , و على الرغم من اختلاف هويتهما الوطنية ، فإن وضعهما الطبقي الواحد يجعلهما يشتركان في خواص لغوية مشتركة مغايرة لخواص لغة أفراد الطبقة الرأسمالية .

لكن نظريات نيكولاي مار سرعان ما تخلى عنها علماء اللسانيات الماركسية بأمر من الرئيس الاتحاد السوفيتي ستالين . لذلك فأن هذه الفترة هي نموذج يكشف عن مخاطر الطرح الأيديولوجي و آثاره على البحث اللساني , إذ حاول الكثير من الباحثين الماركسيين تبرير أو فرض نظرياتهم الاجتماعية المسبقة على اللغة . هذه المحاولات فشلت كلها .

سعى العالم الفرنسي مارسل كوهين Marcel Cohen 1884-1974 كما يظهر ذلك في كتابه أدوات من أجل علم اجتماع لغوي *Matériaux pour une sociologie du langage* الصادر عام 1956 إلى التوفيق بين المقاربة البنيوية المبنية على التساوقية synchronie و المقاربة الماركسية المبنية على التعاقبية diachronie لكنه أخفق .

- اللسانيات الاجتماعية الانجلوسكسونية :

التحول الكبير قي مسار نشأة اللسانيات الاجتماعية جرى في الولايات المتحدة الأمريكية فإلى جانب المدرسة البنيوية التوليدية ظهر منذ , 1960 اتجاه جديد و هو : الأنثروبولوجية اللسانية . و قد تمحور هذا الاتجاه حول أبحاث عالمين : دال هايمز Dell Hymes و جون كانبيز John Gumperz و اللذين اشتغلا على المحاورة conversation و على ما تنطوي عليه من تبادلية في الأدوار يمكن ملاحظتها في الاستعمالات اللغوية .

.و في الفترة نفسها اهتم في بريطانيا العالم بازيل بارنشتاين Basil Bernsteinبدراسة العلاقات بين البنيات اللسانية و الطبقات الاجتماعية , و قد وضع مفهومي راموز محدود *code restreint* و راموز محدد *code élaboré* و وضح أن أطفال الطبقات الشعبية يعانون من فقر لغوي بالقياس لأطفال الطبقات المترفة .

وليايم لابوف و اللسانيات الاجتماعية :

الخطوة الحاسمة من الناحية النظرية و المنهجية في نشأة اللسانيات الاجتماعية هي أبحاث اللساني الأمريكي ويليام لابوف William Labov المولود 1929 بدأ لابوف حياته العلمية بالبنيوية , ثم تدرج باتجاه النحو التوليدي , و قد وضع ، أثناء ذلك , إجراءات و قواعد للدراسة الميدانية ، و التي اتبعها في تحليل المتغيرات الصوتية و المتغيرات الاجتماعية . و قد ضبط لابوف دراسته في حيز جغرافي محدد و هو جزر مترتياس l'île de Martha's Vineyard وضح كذلك أثر العوامل اللسانية على الوقائع اللسانية في دراسة ميدانية أخرى تناول فيها نطق حرف الراء R عند سكان مدينة نيويورك , و دراسة ثانية تناول فيها الملفوظ عند السود الأمريكيين .

- الوظيفة الاجتماعية للغة :

بيّن سوسير أن اللغة ظاهرة اجتماعية تكوّن الرابطة الاجتماعية , و أنها مستقلة عن أفراد المجتمع الذين يتكلمونها ، و بالرغم من عموميتها , فهي غير خاضعة لأي فرد ، بل أن كل أفراد المجتمع خاضعون لها .

يقول دو سوسير : توجد اللغة لدى المجموعة الناطقة بها على شكل آثار مرتسمة في كل دماغ على شكل معجم تقريبيا و تكون جميع نسخه المتماثلة موزعة بين الأفراد , فهي إذاً أشبه ما تكون بشيء موجود عند كل فرد ، و هي مشتركة بين الأفراد جميعا و متوضعة خارج إرادتهم .

و الواقع أن اللسان مثله مثل كل المؤسسات الاجتماعية يعكس كل ما يجري في المجتمع الذي يستعمله , و المجتمعات الإنسانية بطبيعتها مبنية على التنوع و أساسها الصراعات و التناقضات . لذلك تكون اللغة نشاطا اجتماعيا متحولا ، و ليس كيانا موحدا ، تعكس التحول و التنوع على محوريين :

1. محور الزمان و المكان : و هو المحور الذي يعبر عن اختلاف اللغات و تنوع اللهجات , و ما يتصل بذلك من تفاعل عبر خط الزمان أو عبر جغرافية المكان .
2. محور التنوع الاجتماعي : و يتعلق بكل ما يتصل بالنظام الاجتماعي و بطبقات و شرائح و فئات .

اللغة مؤسسة اجتماعية تختلف عن بقية المؤسسات الأخرى لأنها تخص جميع أفراد المجتمع ,و الفرق واضح بين اللغة كمؤسسة اجتماعية و بين المؤسسات الاجتماعية الأخرى ذلك أن الرموز اللغوية هي رموز اعتباطية غير معللة ، بينما القوانين أو الأعراف تقوم على علاقات طبيعة الأشياء .

بيد أن القول بأن اللغة مؤسسة لا يعلمنا إلا جزئيا عن طبيعة هذه الظاهرة .فإن تسمية اللغة بأداة تلفت الانتباه بشكل مفيد جدا إلى أن ما يميز الكلام عن الكثير من المؤسسات الأخرى : الوظيفة الأساسية لهذه الأداة التي هي عملية التواصل .و سنرى أن كل تغير في اللغة عبر الزمن يهدف أساسا إلى التكيف بالشكل الأوفر و الأنسب مع إرضاء حاجات التواصل لدى الجماعة التي تتكلمها .

لا ننسى أيضا أن الكلام يمارس وظائف أخرى غير تلك التي تؤمن التفاهم المتبادل فهو يصلح في الدرجة الأولى كركيزة للفكر إلى حد نتساءل معه إذا ما كان النشاط الذهني الذي ينقصه إطار اللغة يستحق تسمية فكر .

مما سبق فإن للغة وظيفتان أساسيتان :

- الوظيفة الأولى :

و هي وظيفة اجتماعية , إذ أن قوة تماسك أفراد المجتمع ببعضهم البعض يتوقف على قوة الروابط ، و بقوة هده الروابط يكون دور اللغة دورا اجتماعيا هاما .

و يعني ذلك أن اللغة في وظيفتها الاجتماعية مرتبطة بمجمل العناصر المكونة للمجتمع لذلك لا يمكن الحديث عن الدين أو العرق أو الهوية بمعزل عن اللغة و سنكتفي هنا بالحديث عن اللغة و الهوية :

الهوية هي كل ما هو مشترك الوراثة والسلالة واللغة والثقافة والدين وعلم النفس الجماعي الشخصية الأساسية والارتباط بأرض معينة .و يرى علماء الأنثروبولوجية أن الجماعة التي تفتقر إلى لغة خاصة بها , لا يمكنها أن تكوّن جماعة عرقية – ثقافية ، و لا يمكنها المطالبة بهوية ثقافية أصيلة .

ففي دراسة مثيرة قام فيها العالم موران 1990 بتحليل تشكّل هوية الهايتيين المهاجرين القاطنين مدينة نيويورك :

لاحظ موران أن الجيل الأول الذي ينتمي إلى موجة الهجرة الكبرى الأولى في الستينات و المنحدرة من النخبة الهايتية اختارت الاندماج في الأمة الأميركية مع محافظتها على اختلافها عن السود الأميركيين للتخلص من الإبعاد الاجتماعي مستفيدة من كل ما من شأنه الإيحاء بشيء من البياض و"التميز . "

و لاحظ موران أن موجة الهجرة الثانية في السبعينات المكونة أساساً من عائلات الطبقة الوسطى ذات اللون الأسود فقد اختارت بعد أن صعب عليها الاندماج ، استراتيجية أخرى وهي استراتيجية تأكيد الهوية الهايتية من أجل تجنب الاختلاط بالأمريكيين السود ؛ لذلك لجأت إلى التكلم المنتظم باللغة الفرنسية أمام الملأ ، و بذلت جهداً لاكتساب الاعتراف بها كمجموعة عرقية نوعية .

للغة بتعبير اللسانيات وما تطرحه من وظائف الاتصالية ، النزوعية ، الإحالية ، الشعرية ، الفوقية ... تكوين بنائي مركب و معقد ، يمثل المنظومة الثقافية الشاملة للجماعة وما تعنيه من معاني معرفية و إناسية وتاريخية جغرافية ، وعادات وغيرها فتصف الكلّ الحضاريّ الذي يتجاوز مفهوم البنية الثقافية الخاص –

كإنتاج فكري وإبداع أدبي و فني " لتشمل القيم و العادات و قواعد السلوك و الأحاسيس التي تصوغ الوجدان المشترك و تفضي بالتالي إلى الرغبة في العيش الدائم مع الجماعة المحددة .

هذا التكوين للغة يمنعها من الدخول في البناء الفوقي للمجتمع الذي يشمل الفلسفة و الدين و الأخلاق ولكنه لا يدخلها في البناء التحتي للمجتمع بقواعده المادية و الاقتصادية .

اللغة , مثلما نستدل من التحليل السابق تبلور الخبرات و تصوغ المفاهيم , و تحرك المشاعر فتزودنا بالعبارات المناسبة , فهي التي تعدل سلوك الفرد لكي يتلاءم مع أفراد المجتمع ,فهي وسيلة الإنسان في الحديث و الغناء و الكتابة و القراءة ، و هي حاجة من حاجات المجتمع الأساسية ، وظيفتها الأساسية ، إلى جانب تحقيق هوية المجتمع ، هي وظيفة التواصل و الاتصال .

– الوظيفة الثانية :

و هي الوظيفة الفكرية و التي تجعل من اللغة وسيلة تفاهم عالمية , فهي وسيلة الثقافات ، و أساس كل نشاط ثقافي .

لقد شغلت اللغة ، نظرا لوظيفتها الفكرية , مكانة الصدارة في علم الأنثروبولوجية يقول سابير : على الباحث ألا يكتفي فقط بالاهتمام باللغة باعتبارها الموضوع المفضل للأنثروبولوجية ، لأنها حقيقة ثقافية قائمة بذاتها ، بل عليه أيضاً دراسة الثقافة باعتبارها لساناً langue .

عرّف سابير الثقافة على أنها مجموعة من الدلالات المستخدمة في الأفعال الفردية المتبادلة و أعتبرها منظومة اتصال . قدم وفرضية هي بفرضية "سابير –وورف "اللغة باعتبارها مصنِّفة و منظمّةً للتجربة المادية . أكد سابير على عدم وجود علاقة مشاركة مباشرة بين نموذج ثقافي معيّن , و بين بنية لغوية . هذه الفرضية بينت التأثير الذي يمارسه اللسان على منظومة التمثيلاتالتصورات لدى شعب معين . فاللسان والثقافة يرتبطان ببعضهما البعض عبر علاقة ارتباط متبادل : و من بين وظائف اللسان , وظيفة نقل الثقافة ، لكن اللسان نفسه يتأثر بالثقافة .

أشار كلود ليفي شتراوس إلى الصلة القائمة بين اللغة و الثقافة .يقول : إن قضية العلاقات القائمة بين اللغة والثقافة هي من أعقد العلاقات . يمكننا أولاً معالجةدراسةاللغة على أنها منتوج ثقافي و اللسان الذي يستخدمه مجتمع معيّن يعكس الثقافة العامة للسكان .لكن ، بمعنى أخر ، فإن

اللسان جزء من الثقافة : إنه يشكل أحد عناصرها .لكن هذا ليس كل شيء إذ يمكننا معالجة دراسة اللغة كشرط للثقافة , وهي تطورية , لأن الفرد يكتسب ثقافة جماعته عن طريق اللغة ، ونحن نعلم الطفل ونربيه عن طريق الكلام , و نوبّخه و نلاطفه بالكلمات . إذا نظرنا إلى الموضوع من وجهة نظر أكثر نظرية نقول إن اللغة تبدو أيضا كشرط للثقافة طالما تتمتع هذه الثقافة بهندسة مشابهة لهندسة اللغة .كلاهما ينبنيان من خلال التعارضات و العلاقات المتبادلة ، أي عبر علاقات منطقية . كما أنه يمكننا اعتبار اللغة بمثابة مؤسسة fondationهدفها استقبال أعقد البنى في بعض الأحيان , لكنها بُنى تشبه بُناها وترتبط بالثقافات المعينة ، بأشكال مختلف .

و الخلاصة أن للغة مجموعة من الوظائف تخدم من خلالها الفرد . تخدم الجماعة نذكر منها :

1. التواصل بين الناس وتبادل المعرفة والمشاعر وإرساء دعائم التفاهم والحياة المشتركة .
2. التعبير عن حاجات الفرد المختلفة .
3. النمو الذهني المرتبط بالنمو اللغوي وتعلم اللغة الشفوية أو الإشارية يولد لدى الفرد الصور والمفاهيم الذهنية .
4. ارتباط اللغة بأطر حضارية مرجعية ومفاهيم حضارية تضرب في عمق تاريخ المجتمع
5. الوظيفة النفسية فاللغة تنفث عن الإنسان وتخفف من حدة المضغوطات الداخلية التي تكبله ، ويبدو ذلك في مواقف الانفعال والتأثر .

الفروق الفردية في اللغة :

- مفهوم الفروق الفردية :

تعرف الفروق الفردية بأنها ذلك التباين الذي يحدث بين الأفراد في قدراتهم العقلية وخصائصهم النفسية والاجتماعية بسبب اختلاف ظروفهم البيئية و الاجتماعية .نجد أن الطفل الذي عمره خمس سنوات قد يكون اشد ذكاءً من طفل يبلغ من العمر سبع سنوات وهذا يوضح أن الفروق الفردية من الأهمية بمكان لكي يوليها علماء اللغة و النفس اهتمامهم .

-العوامل المؤثرة في الفروق الفردية :

-الوراثة : أجرى هرندون بحثا عام 1945م اثبت فيه أن الوراثة لها دور في تحديد مستوى الذكاء بنسبة 50الى 75ف ي المائة .

-البيئة :حيث يؤثر المستوى الاقتصادي والاجتماعي للفرد في الفروق الفردية .

أثبتت الدراسات النفسية التي أجريت على الأطفال جملة من الحقائق في الفروق الفردية في استعمال اللغة ، لخصها جورج كلاس في ما يلي :

-1 أن البنات متفوقات في اللفظ و اللغة .

-2 أن توائم تتأخر نسبيا في النطق بينما يتقدم الطفل الوحيد على غيره في هذا المجال .

-3 أن المستوى الاجتماعي و الاقتصادي يؤثر في درجة الاكتساب اللغوي ، فكلما كان المركز الاجتماعي أفضل كان اكتساب الطفل أفضل , و كلما كان المستوى الاجتماعي منخفضا كلما انعكس ذلك على لغة الفرد .

الفروق الفردية في علم اللسانيات هي ما يصطلح علماء اللغة على تسميته اللهجات الفردية , و هل كل ما يتعلق بالطابع الشخصي أثناء إنتاج الفعلي للكلام , إذ إن لكل شخص خصائصه اللغوية المميزة :منها :

-1 البصمة الصوتية التي تختلف من شخص إلى آخر .

-2 العادات اللغوية التي تظهر أثناء عملية التلفظ .

-3 الشعور بالانتماء المهني و الحرفي و أثره في القاموس اللغوي عند الفرد .

تعرف اللغة ، كما هو ظاهر من الخاصية الثالثة، تنوع لهجي فردي اصطلح عليه بعض العلماء بسجلات اللغة registres أو variation sociolecte هذه السجلات يمكن تصنيفها إلى 4 أو 5 مستويات لغوية بنيوية . كل سجل من هذه السجلات يتعلق بفئة اجتماعية مهنية محددة كالأطباء أو المحاميين أو عمال التربية .

يوجد أيضا تنوع لغوي آخر مقياسه الجنس رجل /امرأة ففي دراسة ميدانية جرت بالمناطق في كندا و الولايات الأمريكية المتحدة سجل الباحثون جملة من الخصائص المشتركة في لغة المرأة , و هي :

-1 نطق و أداء صوتي جيد .

2- تنوع في الجرس الصوتي و الموسيقي للخطاب .

3- غلبة الخطاب الوصفي .

4- صيغ غير مباشرة في الخطاب ، و التزام قواعد اللباقة .

5- حركات و إشارات أكثر .

6- احترام قواعد اللغة .

7- نسبة أقل من الألفاظ البذيئة .

8- نبرة صوتية مرتفعة .

9- مدة كلام أكبر و أطول .

هذه الخصائص ليست كلها محل اتفاق العلماء , إذ سجل البعض الآخر نتائج مناقضة للنتائج السابقة : لقد دلت دراسة قام بها العالم فيشمان Fishman على عينة من الأزواج ,فبين أن نسبة الاقتراحات التي ينفذاها الزوجان في حياتهما الأسرية أن نسبة الثلثين منها هي من اقتراح الرجل، مع العلم أن المرأة تقترح ضعف ما يقترحه الرجل من مشاريع أسرية .

وضحت دراسة ميدانية أخرى تناولت المقاطعات أثناء الحوار أن نسبة 96 %في المائة هي من اصطناع الرجال , و 4 % في المائة من اصطناع المرأة . و أن المرأة لا تنجح إلا بسبة النصف في مقطعاتها .

المتغيرات اللسانية الاجتماعية و الفردية السجلات اللسانية هامة لأسباب متعددة منها :

- تحديد هوية المتكلم و معرفة جنسه و سنه و شريحته المهنية أو اجتماعية .
- المحافظة على نظام الطبقات و ما يتبعها من الامتيازات و النفوذ .
- تحديد السياقات الاجتماعية في الاستعمال التواصلي للغة .
- اللغة و الشخصية :

اللغة ، كما سبق الإشارة إلى ذلك ، ظاهرة فردية و اجتماعية ، لأن كل فرد يستخدمها من أجل الاتصال مع الأفراد الآخرين ، كما يستخدمها كجزء من ذاكرته الخاصة .

الشخصية ، في بنيتها ، هي مجموعة أفكار الفرد و مشاعره و أفعاله التي تعد مميزاً خاصاً له ، و يتحدد بمقتضاها أسلوبه الخاص في التكيف مع المحيط .تبدأ الشخصية وبعدها الاجتماعي منذ

سن مبكرة عندما يبدأ الفرد بتشكيل أساليبه الاعتيادية في التواصل مع الآخرين ، و أنماط تفكيره ومشاعره الخاصة حول الناس وحول نفسه كواحد من الناس و تظهر جوانب الشخصية في السلوك اللغوي الذي يعكس نمو الشخصية بعدد كبير من السبل .

يذهب سكينر إلى أن اللغة تمثل جزءً كبير من الطبيعة البشرية الموروثة .تساعد على معرفة الذات عند الآخرين ، لأن عملية التلفظ توضح ، عادة ، أطر الشخصية للمتكلم .يشدد , سكينر على أهمية المجتمع اللغوي ، و يبين أن الوظيفة التي يقوم بها هي وظيفة الطوارئ التي تساعد الطفل على وصف ذاته ، و أنه بدون العون الذي يقدمه المجتمع للطفل فإن سلوك الطفل يظل كله غير واع .. فالوعي نتاج اجتماعي ، لا يوجد في نطاق الإنسان المعزول الوحيد .

اللغة عنصر أساسي من عناصر الشخصية الإنسانية تتداخل مع كامل عناصر الجهاز النفسي للإنسان . تعبر اللغة عن الجانب من الشخصية الفردية ، فتكشف عن هويتها العرقية ، الثقافية ، الدينية ، الاجتماعية، المهنية ، الجنسية ، العمر

تعبر اللغة عن الشخصية و عن طبيعتها :السوية أو غير السوية ، المتفتحة أو المنطوية .و يكفي في هذا الصدد الإشارة إلى العبارة التي تعارف عليها علماء النفس : الأسلوب الرجل نفسه .

يعرف بعض الباحثين اللغة المعينة أو الخاصة بأنها قائمة هائلة من الإمكانات المتاحة للتعبير , و من ثم فإن الأسلوب يمكن تعريفه بأنه اختيار يقوم به الفرد لسمات لغوية معينة بغرض التعبير عن موقف معين .

و قد يكون هذا الاختيار :

-اختيار محكوم بالموقف أو المقام , و هذا الانتقاء هو انتقاء نفعي ربما يستحسن فيه الفرد كلمة أو عبارة على أخرى لأنها أكثر مطابقة في رأيه للحقيقة أو لأنه يريد أن يضلل سامعه أو يتفادى الاصطدام بحساسيته تجاه عبارة أو كلمة معينة .

-اختيار محكوم بمقتضيات التعبير الخالصة ، و نعني بذلك مقتضيات الإبداع .

تعبر اللغة ، في معجمها أو بنيتها ، أيضا ، عن الجوانب غير الواعية من الشخصية الإنسانية . و من المفيد جيدا عرض , و باختصار شديد، بعض نظريات علماء التحليل النفسي ، و التي وضحت الصلة الوثيقة ما بين اللغة و اللاشعور :

لقد أولى سيغموند فرويد أهمية للغة ، ليس فقط باعتبارها نقطة تقاطع بين الفرد و المجتمع ، لكن أيضا باعتبارها مكانا للاشعور ، و بوصفها كذلك تعبيرا عن التعارض الوجداني ، و تعبيرا عن المكان الحميمي للشخصية .

حدد جاك لاكان من بعد فرويد هذه الوظيفة المركزية للغة باعتبارها المكان الذي ينخرط فيه الشأن الرمزي الذي يصاغ فيه قانون ما هو بشري ، هذا الأخير الذي تعتبر اللغة عنصرا أساسيا من عناصره .

يرى لاكان أن اللغة تخلق اللاشعور ، ويرى أن التوسط اللغوي يمتد أبعد بكثير من الديالوج التحليلي . و يشير إلى أن الإنسان نفسه ينغرس ، و هو يكتسب اللغة ، في نظام رمزي سابق الوجود و من ثم تخضع رغبته للضغوط التي تنظم ذلك النظام : إنه يتيح للغة و هو يتبناها أن تؤثر على طاقاته الغريزية الحرة و تنظمها .إنه امتياز خاص بالإنسان مستخدم اللغة أن يبقى غافلا ، وهو يصنع الأشياء بالكلمات ، عن مدى ما ساهمت و تستمر تساهم به ، الكلمات في صناعته .و .بمعنى آخر اللغة تصنع الإنسان .

اللغة و المجموعات الاجتماعية :

الحركة الاجتماعية في تحولاتها و صراعاتها و تناقضاتها تنعكس كلها في لغة المجتمع . لذلك يساير انتظام المجتمع في طبقات اجتماعية توزيع لغوي حيث أن هذه الطبقات تتميز ، كما سبق تناول ذلك في الفروق الفردية في اللغة ، باستعمالات تسمى عند علماء الاجتماع المستويات أو السجلات اللغوية .و قد حاول بعضهم و على رأسهم اللغوي الإنجليزي بازيل بارنشتاين ربط رقي الاستعمال اللغوي برقي المستوى المعيشي للمتكلمين .

ففي جميع المجتمعات اللغوية في العالم فروق واضحة في اللفظ و النحو و المفردات نظهر في كلام المنتسبين إلى تلك المجتمعات , فمن جهة هناك فروق واضحة في اللكنة accent

أي الطريقة التي تلفظ بها مفردات اللغة ، يمكن أن نعرف فورا ما إذا كان المتكلم باللغة أجنبيا ، حتى ولو كان يتقن جيدا اللغة التي يتحدث بها .

كما أن هناك اختلافات تظهر في كلام الناطقين باللغة القومية الواحدة كما هو الشأن بالنسبة للاختلاف بين اللغة البريطانية و اللكنة الأمريكية ، أو الاختلاف في بعض الألفاظ مثل : Laboratoy , bird , warter .

توجد كذلك و داخل اللغة الواحدة اختلافات كثيرة في الصوت و التركيب و المعجم ، و لاسيما عندما تكون اللهجة السائدة اجتماعيا قد تطورت لأسباب اجتماعية و تاريخية و أصبحت النموذج المعياري على المستوى الوطني و الإقليمي ، فعلى سبيل المثال يتكلم معظم المتعلمين في إنجلترا لهجة قريبة من اللغة الإنجليزية ، هذه اللهجة هي اللهجة التي يتحدث بها المثقفون الإنجليز في جنوب شرق إنجلترا، و تسمى Received Promunciation أو RPو تكشف أصل المتحدث الجغرافي و مكانته الاجتماعية .

لقد أكد ترودجل Trurdgill في دراسة قام بها عام 1978 أن المرء في لكنته أو لهجته كلما ابتعد عن النموذج المعياري المسمى RP كلما دلّ ذلك الابتعاد على تدني في المرتبة الاجتماعية أو مستوى التعليم أو المهنة أو الدخل الاقتصادي .

كشف وليام لابوف Labov, كما سبق الإشارة إلى ذلك ، في دراسة ميدانية قام بها عام 1969بمدينة نيويورك أنه كلما ارتفعت مكانة الفرد الاجتماعية كلما زادت احتمالات استعمال حرف الراء R قبل الصوامت مثل , farm :و على الخصوص في المناسبات الرسمية .و وجد لابوف آن احتمالات استعمال حرف الراء في كلمات الناطقين بالإنجليزية عند الطبقات الدنيا أكبر بكثير من احتمالات استعمالها في كلام المنتمين إلى الطبقات المتوسطة .

فسر لابوف هذه الظاهرة بأنها تعود إلى الحساسية الزائدة عند أبناء الطبقات الوسطى , و الذين يتملكهم عادة شعور بالقلق الاجتماعي .و فسرها كذلك بأنها مؤشر من المؤشرات اللسانية التي تدل على الطبقات الاجتماعية الطامحة لتحسين وضعها الاجتماعي .

و النقطة الأساسية أن التنوع اللغوي يدل على المناطق الجغرافية التي ينتمي إليه الناطقون باللكنة أو اللهجة , و على المكانة الاجتماعية أو المستوى التعليمي و ما يسترعي الانتباه أن الآباء يحاولون أن يخلصوا أبنائهم من كل مظاهر اللغة التي يعتبروها مظهرا على المرتبة الاجتماعية المتدنية , و مظهرا للهجة غير مستحبة ، و إن لم ينجحوا يكونون قد لعبوا دورا في ديمومة الدونية الاجتماعية أو التعليمية , و هذا ما يؤجج مشاعر بعض الجماعات اللغوية و يزيد من رهافة مشاعرهم .

في إنجلترا ، مثلما أشار الباحث ليونز Lyons في دراسة قام بها عام 1984 , أن إسقاط الهمزة في الكلام أو تجنب لفظها بين الصوائت عوضا عن T أمر في غاية الأهمية بالنسبة للأفراد الذين يطمحون في الحصول على مكانة اجتماعية أرقى .

قام الباحث الإنجليزي ريشار هوغارت، وهو من منبت عمالي، بوضع أدق وصف للثقافة العمالية، في كتابه الذي ظهر عام 1957 بعنوان ثقافة الفقير : و قد درس في الكتاب المذكور أسلوب الطبقات الشعبية في إنجلترا، و حياهم اليومية في أدق تفاصيلها مظهراً خصوصية الثقافة العمّالية التي لا تزال موجودة، على الرغم من التغيرات التي طرأت عليها منذ بداية القرن مثل تغير الشروط المادية لحياة العمال وتطور الاتصال الجماهيري .إن الشعور الذي يعاني منه المرء بانتمائه إلى طائفة لها حياها وقدرها يقود إلى تقسيم ثنائي أساسي للعالم الاجتماعي إلى "هم "و "نحن "

استخلص هوغارت أنه لم تعد هناك تقريباً مجموعات عمالية بالمعنى الدقيق، متجمعة في الحي نفسه وتعيش حياة اجتماعية مكثفة مثل التجاور وتجمع السكان كلهم في أوقات منتظمة في الأعياد الجماعية . وأصبحت النزعة الخصوصية الثقافية العمالية سواء من حيث اللغة أو الملبس أو المسكن الخ .أقل وضوحاً، إلا أنها لم تختف تماماً .

الواقع أن تلاشي الخصوصيات الطبقية للطبقات هو سمة لاحظها عدد من الباحثين الاجتماعيين , إذ أصبحت كل طبقة من الطبقات الكلاسيكية منقسمة إلى مجموعات متمايزة . كل ذلك قد أنعكس على الاستعمال اللغة في الواقع الاجتماعي , بحيث أصبح بالإمكان ضبط ذلك التنوع الشديد في تنوع السجلات اللغوية .

-الازدواجية اللغوية و تعدد اللغات :

أ -ثنائية اللغة : Bilinguisme

يوجد في كثير من المجتمعات يتكلم أهلها لغتين رسميتين أو أكثر مثل :كندا و بلجيكا و سويسرا . و لا يعني ذلك أن جميع أفراد هذه الدول يستعملون أو يفهمون أكثر من لغة .

يؤكد أندريه مارتيني أن ثنائية اللغة تنطوي على لغتين تخضعان لوضع متطابق ، مما دفع علماء اللسانيات إلى اقتراح مصطلح لغة مزدوجة للدلالة على موقف تستخدم فيه الجماعة ، و حسب الظروف لغة خاصة idiome أكثر ألفة أو أقل نفوذا أو أكثر علما و تنميقا .

و الواضح أننا لا نستطيع وصف أي مجتمع بأنه ثنائي اللغة إلا في حالة واحدة وهي وجود عدد كاف من أبنائه يتكلمون لغتين بالفعل .

ثنائي اللغة ، من الناحية النظرية ، هو إقرار بوجود ظاهرة لسانية تدل على الإجادة التامة للغتين ، لكن الإجادة الكاملة و المطلقة في الواقع الحي و المعاش أمر في غاية الصعوبة لا يتحقق إلا لنخب من الأفراد الذين بلغوا شأوا تعليميا عاليا .

و الجدير بالذكر أن ثنائية اللغة ، مثلما بيّن ذلك مارتني ، لا تعني تساوي اللغتين في المكانة .صحيح أن هناك الكثير من إمكانيات التكافل المختلفة بين لغتين خاصتين بحيث قد نفضل الاحتفاظ بكلمة ثنائية التي تشملها كلها على محاولة التصنيف بموجب تفرع ثنائي تبسيطي : الفرنسية و الإنجليزية لغتان وطنيتان واسعة النفوذ ، و لكن ، لا نستطيع القول بأنهما متساويتان حقيقة في النفوذ قي كندا : هل نستطيع ، في هذه الحالة التحدث عن لغة مزدوجة في مقاطعة الكوبيك ؟

يذهب بعض علماء النفس اللغوي أن ثنائي اللغة يمكن تصنيفهم في فئتين :

1- فئة متكافئة لغويا : و تضم كل الأفراد الذين لهم قدرة عالية على التحدث بلغتين أو أكثر بطلاقة و سهولة في كل المناسبات .

2- فئة غير متكافئة : و تضم الأفراد الذين يملكون قدرات متفاوتة في اللغات التي يتكلمونها ، و تكون لديهم إحدى اللغات مهيمنة على الأخرى .

و في الحالات التي لا تتحقق الإجادة التامة للغتين فإنه تصبح إحدى اللغتين لغة مهيمنة dominante و تصبح اللغة الأخرى لغة تابعة subordination و يتضمن استعمال اللغة التابعة عملية ترجمة من اللغة المهيمنة إلى اللغة التابعة.

و مهما يكن من أمر , إن ما يميز المجتمعات الثنائية اللغة هو التمييز الوظيفي بين اللغتين , أو ما يصطلح على تسميته علماء اللغة بالمجالات domaines ف مثلا : البيت ، و لا يعني المجال المكان فحسب ، و إنما كل المتحدثين و المواضيع و العوامل و الظروف المحيطة .نجد إن إحدى اللغة قد تكون لغة البيت ، و يعني ذلك أنها لغة غير رسمية ، استعمالها منحصر بين أفراد العائلة ، بينما هؤلاء الأفراد خارج البيت يستعملون لغة أخرى ففي دراسة ميدانية نتبين أن أهل الأوراغواي يتحولون من التحدث بالإسبانية إلى التحدث باللغة الجورانية تبعا للمجال المناسب ، كما هو واضح من الجدول التالي :

اللغة	الموضوع	المكان	المخاطب	المجال
الجورانية	إعداد حفلة	البيت	الأب/ الأم	العائلة
الجورانية	نكته	المقهى	أحد الأصدقاء	الصداقة
الإسبانية	تلاوة نص	الكنيسة	أحد رجال الدين	الدين
الإسبانية	موضوع أكاديمي	الجامعة	أستاذ	التعليم
الإسبانية	الحصول على رخصة	مكتب	مسؤول	الإدارة

بين عالم اللسانيات الاجتماعي فيشمان Fichman أن المجالات مرتبطة بعوامل اجتماعية : فمن الأمثلة على ذلك قد يقوم مواطنان تنزانيان بعمل تجاري فيستعملان اللغة الإنجليزية ، لكنهما بمجرد ما ينتقلان إلى التحدث عن الأمور الشخصية ، تتغير لغتهما و تصبح اللغة السواحلية .هذا التحول في اللغات ظاهرة عامة نلحظها في العديد من المجتمعات المتعددة اللغات

كالهند مثلا ، إذ يتحول الأفراد من اللغة الإنجليزية إلى التحدث بالهندية أو الأوردية أو البنغالية أو التاملية ..أو إلى لغة من لغات الهند الكثيرة .

ب – تعدد اللغات :

كثير من الناس في العالم يتكلمون أو يفهمون عدة لغات ، سواء على المستوى الفردي أو على المستوى الجماعة . كل ذلك يؤدي إلى سلسلة من الظواهر اللسانية ، يمكن ضبطها فيما يلي :

1– التدخلات اللغوية :

و نعني انتقال الألفاظ و الصيغ و التركيب من لغة إلى أخرى مثل :اللفظ الإنجليزي Marketingالذي انتقل إلى الفرنسية و غيرها من لغات العالم , أو اللفظ الإيطالي : Studioو الذي شاع في ألسنة عديدة .

2– الاستعانة بلغة وسيطة :

و ترتبط هذه الظاهرة بالمجتمعات المتعددة العرقيات اللغات إذ تظهر لغة وسيطة لتتيح الاتصال الموحد بين سائر جماعات المجتمع , كما هو الشأن للغة الفرنسية أو الإنجليزية في بعض بلدان إفريقيا السوداء .

3– ظهور الرطانات أو اللغات المختلطة :

و نعني بذلك أنماط لغوية مكونة من عدة لغات Pidgins أو اللغات المولدة الجديدة كما هو الشأن للغة المولدين البيض أو الزنوج في جزر الأنتيل Antillesو المسماة ب : اللغات المختلطة Créoles

أن ما يلفت الانتباه ، بحسب رأي أندريه مارتيني ، أن يحاول الفرد إقامة اتصالات خارج ميدان اللغة المشتركة الخاصة به . إذا رغب هذا الفرد في إقامة تواصل ألسني مع الأجانب الذي يصادفنهم ، عليه إما إقناعهم بتعلم لغته و إما تعلم لغتهم الخاصة ، و في بعض الأحيان ، تظهر عند الفرقين رغبة تواصل مشتركة ، فيقوم كل منهما بجهد يرمي إلى معرفة ما يقوله الآخر و تقليده قدر الإمكان .فنتج عن ذلك لغة مختلطة سوف يحاول كل منهما مطابقتها مع لغة الآخر ، و بينما هي تقع في منتصف الطريق بين الاثنين .بالنسبة لمستعمليها سوف تصبح

هذه اللغة لغة مساعدة ذات بنية قليلة التمايز و مفردات تنحصر في الحاجات التي ولدتها و تسمح لها باللقاء .و عادة ما تتخذ أدوات التواصل السريعة اسم الصبير Sabirs اللغات المزيج.

لا تنحصر اللغات المزيج بالمستعملين المنتمين إلى مجموعتين عرقيتين فحسب ، بل قد تستخدم كأداة للتفاهم بين كل الشعوب القاطنة في منقطة جغرافية محددة .

أما اللغات المختلطة , Créoles بحسب مارتيني ، فهي اللغات التي يتكلمها المنحدرون من عبيد احضروا من إفريقيا إلى العالم الجديد و جزر المحيط الهندي .و هي ناتجة عن عملية خاصة نحاول بالفكر استعادة مراحلها إلا أن تصرفها المعاصر إزاء لغة الثقافة التي تبدو و كأنها صورة مشوهة عنها ، يذكرنا بتصرف اللغات العامية و اللهجات المحلية .

الواقع أن ما يميز اللغات المزيج Sabirsعن اللغات المختلطة Créolesهو أنها تستعمل لوحدها , و في كل ظروف الحياة , من قبل مجموعات كثيفة من المتكلمين .و يمكن الافتراض بأنها بدأت كلغات مساعدة بشكل لغة هجين أو petit nègre ثم احتلت بعد ذلك مكان اللغات الإفريقية في مناطق مثل جزر الأنتيل , Antilles حيث كان تجار العبيد يأتون بعبيد من أماكن مختلفة و ذوي لغات مختلفة . و بما أنها فرضت نفسها في العلاقات بين الناس من أصل إفريقي، و أن الأوروبيين ظنوا خيرا في استعمالهم الدائم للغة المزيج في توجيههم للسود ، لن نستغرب إذا ما عثرنا في بنية مختلف اللغات المختلطة مجموعة من السمات تذكرنا بإفريقيا أكثر منها بأوروبا .

لاحظ علماء اللسانيات أن سكان الجزر الجنوبية للمحيط الهندي لا يستعملون اللغات المختلطة التي كونوها من اللغات المتعددة في منازلهم أو في الحياة الاجتماعية التقليدية ، و إنما يستعملونها في العمل أو في مجال الإبداع .

اللغة المشتركة و لهجاتها :

يجري التمييز بين اللغة و اللهجة ، غالبا ، على اعتبارات سياسية أو ثقافية ، فعلى سبيل المثال ، تعد الماندارينية و الكانتونية لهجتين من لهجات اللغة الصينية ، على الرغم من أنهما يتباينان عن بعضهما البعض أكثر من تباين اللغة الدانمركية و اللغة النرويجية .

و قد ذهب بعض علماء اللسانيات أن مقياس سهولة الفهم المتبادل بين المتكلمين قد يكفي لتعيين معالم حدود محايدة بين اللغات و اللهجات .غير أن هذا المقياس قد يطرح عدة مشكلات تتعلق بالتغيرات التدريجية المستمرة في اللهجة ، و التي تظهر في مناطق جغرافية واسعة ، بحيث لا يستطيع متكلمان يقطنان في مناطق متباعدة أن يفهما بعضهما البعض .كما أن الفهم المتبادل بين سائر المتكلمين قد لا يتحقق بسبب اختلاف اللهجات ، و إنما قد يعود ، بدرجات متفاوتة ، إلى الفروق في البنية الاجتماعية مثل الفروق الطبقية أو اختلاف المهني أو التباين الثقافي .

أصبحت بعض اللهجات ، لاعتبارات سياسية و اجتماعية ، لغات فصيحة تسود المستوى الوطني و الإقليمي ، فقد خرجت اللغة الإنجليزية الفصيحة إلى حيز الوجود نتيجة تنامي أهمية مدينة لندن في المجال الثقافي و السياسي ، كما أن الفرنسية الفصيحة قد تطورت بفعل استحواذ مدينة باريس على مقاليد الثقافة و الاقتصاد و السياسة، و في كلتا الحالتين فإن اللغة الفصيحة المعيارية لم تكن سوى لهجة الطبقات العليا في لندن و باريس .و لا يعني ذلك بأن نشأة اللغة المعيارية متوقفة على العامل التاريخي الاجتماعي فحسب ، بل هي ، كذلك ، حصيلة عوامل متعددة و منها :الأكاديميات ، فالأكاديمية الفرنسية , Française académie و التي أسسها ريشلو , Richelieu عام 1635 قد اضطلعت بضبط المعايير و الضوابط للغة القومية , و لا تزال تعمل على إصلاح القواعد المقننة و القواميس الفرنسية المتعددة . و يوجد أيضا من المدارس و الجامعات تقوم بدور مماثل للدور الذي تقوم به الأكاديمية الفرنسية .

مارست اللغات الأدبية ، و لقرون عديدة , تأثيرها المعياري على اللهجات المحلية . و قد بلغ تأثير اللغات الأدبية الحدود القصوى فيما نصطلح عليه بالأساليب و طرق التحادث .

و أنه من المفيد أن نذكر أنه قد شاع عند البلاغين ما اصطلح على تسميته بدائرة فرجيل في الأسلوب , و هي دائرة ترسم على أساس محاولة توزيع الأساليب على الطبقات الاجتماعية

المتنوعة . و من ثم توزيع المفردات و الصور و مظاهر الطبيعة ، و أسماء الحيوانات و الآلات و الأماكن على الطبقات الملائمة ، و في هذا الإطار ترتسم الحدود الفاصلة بدقة ، فإذا اتفق مثلا أن كلمة تناسب طبقة الفلاحين ، و هذه الطبقة يلائمها الأسلوب فلا ينبغي أن تنقل هذه الكلمة إلى الأسلوب الطبقة المتوسطة الذي يلائم طبقة التجار و الصناع ، أو إلى الأسلوب العالي الذي يتناسب القواد و المفكرين و الملوك، لأن لكل عالم من هذه العوالم الاجتماعية أسلوبه الذي يميزه و يميز أفراده .

أصبح من المعتاد للدلالة على أثر اللغة الأدبية في اللغة المعيارية أن ننعت فلانا بأنه يتكلم باللغة الفصيحة إذا كان يتكلم في المواقف الرسمية بلهجة قريبة في القواعد و المفردات من اللغة المكتوبة .و كان النحويون في الغرب ، و إلى فترة غير بعيدة ، يقصرون اللغة المكتوبة على لغة الأدب .لذلك لم يولوا اللغة اليومية المنطوقة أو اللهجات المحلية أدنى اهتمام ، فهم غالبا يعتبرون معايير الاستعمال الأدبي للغة هي معايير صحة اللغة نفسها ، و يحكمون على الاستعمال المنطوق ، و بالقدر الذي يبتعد فيه عن اللغة الأدبية ، بالابتذال و الركاكة و السوقية و السقم .

اللغة الفرنسية و اللغة الإنجليزية خضعتا للمقاييس اللغوية منذ مدة طويلة بحيث أصبحت اللغة الفصيحة لكل منهما نموذجا يتحدث به كثير من الناس في بقاع عديدة من العالم ، و هذا النموذج الألسني كان نتاج لعملية تاريخية طويلة.

حاولت بعض الحكومات أن تقلص من العملية التاريخية لتحول لهجة من اللهجات إلى لغة فصيحة ، عن طريق المراسيم و القوانين أملا في استعمالها في حقول التربية و التعليم و الاجتماعات العامة و المعاملات الرسمية .غير أن هذه المحاولات فشلت كلها في أن ترتقي بلهجة ما إلى مستوى اللغة الفصيحة ينتشر استعمالها بين سائر فئات المجتمع .فإذا حاولت حكومة ما جعل لهجة لغة فصيحة بقرار رسمي ، لا بد أن تلقى ردود متباينة ، لأنها تضع الناطقين باللهجة في وضع سياسي و اجتماعي أفضل بكثير من الوضع الذي يكونوا عليه الناطقين بلهجات مختلفة ، و لهذه الأسباب تواجه أمم كثيرة و دول عديدة نالت استقلالها حديثا مشكلات ترتبط بتعدد اللهجات و غياب لهجة فصيحة بينها .

يذكر أندريه مارتيني أن في البلدان حيث لم ترسخ اللغة الرسمية وضعها إلا مؤخرا ، و لا سيما في تلك التي ظهرت فيها لمدة طويلة مقاومة ضد السلطة المركزية ، تستمر اللهجات المحلية في نفوذها في مجالات واسعة و في كل ظروف الحياة في أغلب الأحيان و ذلك فيما عدا العلاقات مع السلطات الوطنية .و هي تستعمل في المدينة كما في الريف ، من قبل البرجوازي كما من قبل الشعب ، و غالبا ما تكتب .و مهما ما يكون فيها من اختلافات ألسنية إلا أن الأفراد قد اعتادوا عليها و هم يغضون الطرف عنها و هناك أمل أن تزول على المدى الطويل في حال استقرار الوضع .في هذه الحالة يمكننا التحدث لغة محلية و هي التي نقر ، تقليديا بوجودها في بلد كإيطاليا عندما يتحدث أهلها عن اللغة الصقلية Sicilienne .

الواقع أن الفروق البنيوية و الوظيفية بين اللغة الفصيحة و اللهجات المحلية التابعة لها يختلف حجمها و مداها ، نظرا للأسباب التاريخية و الاجتماعية ، من لغة إلى لغة ففي العربية نجد أن الفروق بين اللغة الفصيحة و اللهجات كبيرة في قواعد النحو و الصرف و المفردات كبير جدا .أما في اللغة الإنجليزية فأن فرق بين الفصحى و اللهجات هو أقل اتساعا .

اصبح الفرق بين الفصيح و العامي في العديد من المجتمعات وضحا ، بحيث صار لكل واحد منهما وظيفة محددة .لذلك فإن اللغة الفصحىتستخدم في الأعمال الرسمية كالتربية و الإدارة .أما العامية فتستعمل في الحياة العائلية و الشخصية

عاشت اللهجات المحلية العربية ، كما يرى عبد الرحمن العلوي ، إلى جانب العربية الفصحى على مدى الزمن لغة تعامل شعبي و تفاهم محلي ، لم تصل في أي يوم ما إلى مستوى الفصحى ، و ليس في مقدورها أن تتحداها على أي صعيد ، و بقيت الفصحى بما تمتلك من عوامل القوة و الحيوية لغة الأمة ، لغة الدين و السياسة و الأدب و التعليم و التأليف و الثقافة و الحضارة ، لغة الوجدان و الذوق و المشاعر .

و الخلاصة أن شيوع لهجة معيارية أو لغة فصيحة مشتركة في المجتمعات له فوائد جمة و بخاصة في الدول التي تسعى إلى نشر الثقافة و التعليم بين سائر طبقات المجتمع .لقد خضعت اللغتان الإنجليزية و الفرنسية و لفترة تاريخية طويلة إلى معايير لغوية مثالية ، لكنهما بعد

استعمال اللهجة المعيارية على نطاق واسع في التربية و التعليم و الإذاعة و التلفزيون و الاجتماعات العامة و المنشورات الرسمية ازداد عدد المتكلمين بها , و نما الترابط بينها و بين الحصول على المكانة الاجتماعية العليا .

لاحظ أندريه مارتيني أن اللهجة في الولايات المتحدة الأمريكية تشير إلى أشكال الإنجليزية المحلية وذلك دون أن تتعارض هذه الأخيرة مع الشكل اللغوي المتعارف عليه .كل أمريكي يتكلم لغة عامية ، عامية بوسطن أو نيويورك و شيكاغو و لكن دون الشعور بأنه يتكلم شيئا آخرا غير الإنجليزية الأمريكية في شكلها المقبول تماما في كل ظروف الحياة .

أهمية اللغة في التفاعل و دورها في التنشئة الاجتماعية

- تعريف التفاعل الاجتماعي :

إن أصغر وحدة قابلة للملاحظة و الدراسة في علم الاجتماع هي الرابطة بين شخصين .إنها العلاقة بينهما أو أكثر تحديدا هي التفاعل الذي ينتج عن علاقتهما . و حتى نفهم معنى هذه التغيرات ، فتنطلق من حالتين ملموستين للتفاعل الانطباعات الأولى عند معرفة الآخر و العلاقة بين شخصين يعرفان بعضهما لبعض .

- الانطباعات الأولى :

و هي تجربة أجراها عالم النفس الاجتماعي الأمريكي سولومون آش Solomon Asch إذ طلب من مجموعتين من الطلاب أن ترسم بتعبيراتها الخاصة صورة شخص أعطيت عنه سلسلة من ست صفات قُرئت ببطء , بحيث بين كل لفظ أو صفة حوالي عشر ثواني .

هذه الصفات عرضها آش على المجموعة أ بالترتيب التالي :

- ذكي .
- متزن .
- مجتهد .
- خجول .
- عدائي .

- عنيد .

ثم عرض آش الصفات على المجموعة ب بترتيب عكسي ، يبدأ بصفة عنيد ، و ينتهي بصفة ذكي .

تحليل الصور المعنوية التي قدمتها المجموعتان يظهر أن المجموعة أ رسمت صورة إيجابية للشخص ، بينما المجموعة ب رسمت صورة أقل إيجابية .و قد فسر آش هذا التباين بين المجموعتين بالاعتماد على نفس الشكل , Gestaltisme بحيث أكد أن سبب الاختلاف هو ترتيب الصفات ، فعندما تقدمت الصفات الإيجابية ذكي ، متزن ، مجتهد ..قد كونت هذه الصفات لدى المجموعة الأولى صورة إيجابية ، و الأمر نفسه ، حدث ، و بصورة عكسية ، مع المجموعة الثانية .

- العلاقة بين شخصين يعرفان بعضهما البعض :

و هي تجربة قام بها سولومون آش ، و أعاد العملية نفسها مع مجموعتين من الطلاب قائلا لهما :إن الصورة التي سوف يرسمون معالمها هذه المرة بالاعتماد على الصفات السابقة المذكورة ، هي صورة معيد سيشرف على حلقات أبحاثهم التطبيقية ، و من ثم ، فيما بعد ، أشرف معيد واحد على الأبحاث التطبيقية للمجموعة أ و المجموعة ب . و لكن مراقبة المجموعتين أثناء العمل سمحت لآش بأن يلاحظ أن المجموعة أ التي كونت صورة إيجابية للمعيد اللاحق ، أبدت تعاونا بشكل أكثر من المجموعة ب . لذلك خلص آش إلى أن بنية معرفة الآخر تمتد و تستمر في بنية الفعل مع الآخر .

تكشف التجربتان ، و على نحو نموذجي ، ما للغة من دور في التفاعل الاجتماعي .إنها تشكل أساس العلاقة و تطورها مع الآخر :

ففي التجربة الأولى نتبين ما للافتراضات المسبقة Présuppositions التي تكون في ذهن المتكلم أو السامع قبل بدء الحوار من أثر في العلاقة مع الآخر .

أما في التجربة الثانية فإن الانطباعات الأولى قد استمر تأثيرها بعد معرفة الآخر و استمرار العلاقة معه .

التفاعل الاجتماعي ، في جوهره ، ظاهرة من ظواهر الاتصال، يتطلب إرسال الرسائل و استقبالها .فلأجل تحقيق هذه الغاية يعمد الأفراد إلى مختلف الرموز .

فإذا كانت الأشكال المختلفة من الاتصال تؤلف أول مستوى من الرمزية ، فإن المعاني الكلية التي توحي بحقيقة واقعية ، فهي تشكل مستوى ثانيا من الرمزية ، لأنها تصورات عقلية تحل مكان الأشياء و الكائنات التي ترجع إليها و على الرغم من أن المفاهيم العقلية مفاهيم شخصية تخص كل فرد على حدة ، فهي ، أيضا ، نتاج اجتماعي بالنسبة إلى عدد كبير من الناس .

الواقع أن الارتباط بين التصورات العقلية و اللغة وثيق وثابت ، فالمعقولات لا تعبر عن ذاتها عبر الكلمات فحسب ، و إنما قد تصنع الكلمات المعقولات أو تؤدي إليها . و لعل من الأمثلة الدلالة على ارتباط اللغة بالتصورات حالة هلين كلير Helen Keller التي أصبت بالصم و العمى في الشهر الثامن عشر من العمر ، لكن استطاعت ممرضة بارعة أن تعلمها بعض الكلمات .و الوسيلة التي استعملتها هي أن تضع الممرضة يدي هلين على فمها و حنجرتها و تكرر كلمة واحدة حتى تستوعب هلين حركات جميع العضلات و تستطيع فيما بعد أن تكررها .و تذكر هلين في سيرتها الذاتية أن الكلمات التي كانت تتعلمها في البداية لم يكن لها بالنسبة لها أي معنى ، و أنها كانت تكرر الكلمات بدافع شعورها بالمتعة .و في يوم من الأيام ، و قد بلغت هلين تسع سنوات ، كانت تلعب بماء الحنفية ، في الوقت الذي كانت فيه الممرضة تكرر كلمة ماء .لقد فهمت هلين أن السائل الذي يجري بين أصابعها له اسم ، و أن الكلمات التي تتعلمها لها أسماء .و منذ تلك اللحظة انتظمت حياة هلين العقلية و استطاعت الاتصال بمحيطها و التفاعل معه .

و الخلاصة أن اللغة تقوم بوظائف حيوية في التفاعل الاجتماعي .تربط الأفراد و الجماعات مع بعضهم البعض ، تسمح بتناقل و توارث كل القيم و العادات عبر الأجيال . تقوم بدور حاسم في تنميط النماذج الثقافية ، و تنقلها باستمرار من خلال آليات التنشئة .

– التنشئة الاجتماعية :

التنشئة الاجتماعية هي الطريقة التي يتعلم بها أعضاء جماعة من الجماعات نماذج مجتمعهم و يتمثلونها و يجعلون منها قواعدهم في الحياة .

تظهر النماذج الثقافية الحاجة الماسة للتنشئة الاجتماعية ، لأنها غير موجودة عند الولادة في العضوية البيولوجية للكائن الإنساني ، كما أنها لا تنتقل وراثيا من جيل إلى آخر ، فعلى كل جيل جديد أن يكتسب نماذج المجتمع الذي هو مدعو إلى أن يعيش فيه .و في هذه الحالة ، فإن أبحاث فرويد و تلميذه ميد Mead و بياجي قد بينت أهمية التنشئة الاجتماعية ، هذه المعايير التي عن طريقها تُستبطن المعايير الاجتماعية و تُمثل و تندمج في الشخصية النفسية و تصبح جزءا لا يتجزأ منها .فعن طريق التربية ينمي الإنسان ، طوال حياته ، استعداداته و ميوله و حاجياته بحيث أن الاستجابة لها تكون في الامتثال للقواعد و المعايير الاجتماعية .إن معظم رغبات الإنسان و حاجاته و آماله لا تكون تلقائيا و تبعا لنوع من الضرورة البيولوجية أو حتى النفسية .إنها تتحدد بحسب التشجيع الذي يتلقاه من المحيط أو الجماعة التي يعيش معها .غير أنه لا يجب أن نفهم ذلك فقط من منظور تحقيق المتعة المادية :إن النزاهة و الإيثار و التضحية بالذات تنمو كي تلبي حاجة معينة ، أو إلحاحا لإبراز صورة عن الذات .

و هكذا فإن الجماعة عندما تكون متماسكة ، فإنها تبلور مجموعة من القيم وقواعد السلوك لتبيّن للفرد الطريق التي يجب أن يسلكها في الحياة و الأماني التي يجب أن يصبو لبلوغها .و معنى ذلك أن الأفراد يعرفون مقدما ما هو متوقع منهم ، و في حالة امتثال الفرد لهذه القواعد فسوف يحظى برضا الجماعة و بالضمانات التي تقدمها له طيلة فترة حياته .فالفرد في هذه الحالة يشعر بالضمان بسبب أن الجماعة تحدد له ما هو الخطأ و ما هو الصواب في سلوكه .

اللغة تهيئ الفرد لأداء دوره الاجتماعي ، و تسمح له استيعاب المعايير المشتركة التي يقوم عليها التفاعل الاجتماعي .لذلك فأن اللغة ، إلى جانب أثرها الظاهر في تكوين العلاقات الاجتماعية بين و الجماعات ، تتيح للفرد التكيف الإيجابي مع المحيط ، وتمكنه مما يلي :

-فهم الأدوار التي يمارسها الأفراد في المجتمع .

-تطوير المهارات المطلوبة لأداء الأدوار المختلفة .

- اللغة و الفكر :

أكد العالم الأمريكي وورف Whorf 1897-1941 في كتابه اللغة بين الفكر و الواقع أن بين النموذج اللفظي و بين منظومة الأخلاق و المفاهيم و التخيلات العادية و اللاوعية و الأسطورية و الشعرية تفاعل معقد .

برهن وورف في سلسلة من المقالات حول لغات الهنود في أمريكا على أن تصور بعض الحقائق كالزمان و المكان و الحركة ليس هو ذاته عالميا ، و أن التغيرات تتعلق ببنية اللغة التي نتعلم بها إدراك هذه الحقائق و التفكير فيها .

و لعل أوضح مثل أعطاه وورف تأكيدا لأثر اللغة و الفكر هو ما أتى به من واقع عمله كمسؤول في إحدى شركات التأمين أثناء بحثه عن أسباب الحرائق .فقد لاحظ أن العمال كانوا يعاملون براميل النفط الخالية بدون مبالاة ، بينما كانوا أشد حرصا في تعاملهم مع البراميل المليئة بالنفط .و بذلك كان هؤلاء العمال يجهلون بعض الحقائق و هي أن بعض البراميل كانت مليئة بالأبخرة و الغازات التي يخلفها النفط عند تفريغه منها .و رأى وورف أن العمال غير مذنبين ، و إنما الذنب يقع كله على كلمة خالية أي على اللغة التي أثرت في طريقة تفكيرهم فجعلتهم يتصرفون بذلك الشكل .

اللغة ، مثلما تسدل من المثال ، تحمل ، و بصورة مسبقة ، في داخلها رؤية للعالم ، و التي يتبناها بالضرورة الذين يتكلمون بها .

هذه الفكرة طرحها في القرن التاسع عشر الفيلسوف الألماني هيردر Herder و اللغوي الألماني فون همبولت Von Humboldt فأخذها اللغوي و الأنثروبولوجي الأمريكي ادوار سابير Edward Sapir 1884-1939 و طرحها مع وورف في فرضية علمية ، و هي فرضية سابير - وورف .

تقوم فرضية سابير -وورف على مبدأين هامين ، و هما :

-الحتمية اللغوية : و هي أن اللغة تحدد الطريقة التي نفكر بها .

-النسبية اللغوية : و نعي بها أن التقسيمات اللغوية المميزة للغة ما ليس لها وجود في أي لغة أخرى .

يقول سابير : البشر لا يعيشون في العالم المادي وحده ، و لا يعيشون فقط في عالم النشاط الاجتماعي بالمفهوم العادي ، و لكنهم في الواقع واقعون تحت رحمة تلك اللغة المعينة التي اتخذوها وسيلة للتفاهم في مجتمعهم .حقيقة الأمر أن العالم الحقيقي مبني إلى حد كبير على العادات اللغوية لمجتمع معين ، كما أنه ليس في العالم لغتان تتشابهان تشابها كبيرا إلى درجة اعتبارهما تمثلان الواقع الاجتماعي نفسه ، إن العوالم التي تعيش فيها المجتمعات المختلفة عوالم مختلفة ، لا مجرد عالم واحد نسميه بأسماء مختلفة . .

و قد أخذ وورف برأي أستاذه سابير ، حيث استنتج في خلاصة دراسته السالفة اللغة بين الفكر و الواقع الصادرة عام , 1956ما يأت .يقول :

إن اللغة ليست مجرد وسيلة للتعبير عن الأفكار ، بل أنها هي نفسها تشكل تلك الأفكار .. فنحن نقسم الطبيعة أو العالم بموجب الخطــوط التي ترسمها لنا لغاتــنا القومية . .

أثبت علماء النفس أثر اللغة على الفكر :فذهب بعضهم إلى أن الذاكرة و الإدراك الحسي يتأثران بتوفر الكلمات المناسبة .بينت تجاربهم أن الناس يتذكرون الأشياء التي يمكن تحويلها إلى رموز في لغتهم .في لغة الإسكيمو ، مثلا ، لا يوجد كلمة مفردة للثلج ، بل كلمات مختلفة تدل على أنواع مختلفة من الثلج .و لا يوجد كذلك في معظم اللغات الأسترالية كلمة واحدة تعني الرمل ، و إنما يوجد عدة كلمات تدل على أنواع من الرمل .و السبب واضح في الحالتين ، لأن الثلج أو الرمل في الحياة اليومية للإسكيمو أو لسكان استراليا الأصليين ، استدعى الاستعمال المتكرر لهذه الكلمات ، و بالتالي فإن لهذه الكلمات قابلية أكبر لأن تتحول إلى رموز .و من المثير جدا أن اللغة الإنجليزية تخلو من كلمات محددة تقابل التنوع المعجمي لكلمة الثلج في لغة الإسكيمو .هذه الظاهرة نسجل ما يماثلها في اللغة العربية ، إذ تشمل العربية عددا لا حصر له من المترادفات لا يقابله في اللغات الأخرى إلا كلمة واحدة ، مثل : الأسد ، و الضرغام ، و الليث ..

ادعى وورف أن هنود هوبي Hopi الذين تفتقر لغتهم إلى صيغة الفعل النحوية الدالة على زمانه ، و أن التعبير عن الزمان في لغاتهم يختلف عن مفهوم الزمان في اللغات الغربية ، غير أنه لا يقدم دليلا علميا يفسر به اختلافاتهم في سلوكهم أو أنماط تفكيرهم .

من المعروف أن انعدام الأرقام التي لها قيمة أكبر من 4في اللغات الأسترالية يكشف عن عجز الناطقين بهذه اللغات في فهم مفهوم الرقم ، غير أن السكان الأصليين الذين يتعلمون اللغة الإنجليزية لا يواجهون صعوبة في تعلم الأرقام

الواقع أن المعطيات المتوفرة لا تسمح تعميم الظاهرة على سائر اللغات ، لأن استقراء الوقائع الكثيرة يشير إلى أن المتحدثين بلغات مختلفة تجمع بينهم نظرة مشتركة تتعلق بمفاهيم عقلية كثيرة مثل :الوقت ، و المكان ، و الرقم ...و لا يعني ذلك أن البشر كلهم يشتركون في كل المفاهيم ، و إنما يختلفون في الكثير منها ، و لاسيما في المفاهيم المتصلة بالثقافة كقسمة ، أو نصيب في العربية .و حتى ندرك ما للغة من أثر على الفكر ، نستعرض بعض الأبحاث التي تناولت مصطلحات اللون في لغات مختلفة .

- مصطلحات اللون :

اختار علماء النفس ، و منذ الخمسينات من القرن العشرين ، مفردات اللون لكي يختبروا ، و بطريقة موضوعية ، صحة أو خطأ مبدأ النسبية اللغوية التي تقوم عليها فرضية :سابير – وورف .

اعتقد العلماء أن طيف الألوان هو كمية مادية متصلة بعناصر الضوء ، يمكن تميز ألوانها تدريجيا إلى إن تتداخل مع الألوان المجاورة ، فمثلا أن اللون الأزرق يتدرج حتى يتداخل مع اللون الأخضر ، و اللون الأخضر يتدرج إلى الأصفر .. و من المفروض أن تحتوي اللغات على ما يعبر على تدرج المرئي للألوان ، فالإنجليزية تحتوى على كلمات تدل على ألوان أساسية / : blue blue/green red/ white/ brown/ black bleue/vert / rouge / blanc / brun / noir و تحتوي على مصطلحات لونية ثانوية مثل turquoise فيروزي ، vermillions قرمزي .

التميز بين الألوان الأساسية و الثانوية مسألة قابلة للنقاش ، لأنها خاضعة إلى معايير تتباين من مجتمع إلى آخر فاللون البرتقالي أو المشمشي أو الليموني كلها ألوان مرتبطة بفواكه .لذلك فهي ألوان غير أساسية ، لكن تكرار الاستعمال و اعتياد الأفراد في المجتمع قد حولها إلى مصطلحات أساسية .

من الحقائق المعروفة أن عددا من مصطلحات الألوان الأساسية يختلف من لغة إلى أخرى ، و أنه يستحيل الترجمة الحرفية لهذه المصطلحات .لا يوجد مثلا في اللغة الفرنسية ما يقابل كلمة brown في الإنجليزية ، و لا يوجد كلمة في الروسية أو الإسبانية أو الإيطالية تقابل blue

قام عالم النفس كلارك بدراسة ميدانية عام , 1977 و أكد عدم صحة مقولة الألوان . أكد أن البشر قد خلقوا ليستجيبوا من الناحية العصبية و الفيسيولوجية لمنبهات محددة . و قد يكون ذلك هو السبب لبروز بعض البؤر اللونية و شموليتها أكثر من غيرها ، فعلى سبيل المثال : إننا نتعلم معنى الأمر بربطه ذهنيا أولا ببؤرته ، ثم نوسع بؤرته نحو الخارج ، إلا أن المعنى البؤري الأول يبقى دائما الارتكاز ..فيمكن ربط بشيء مألوف في البيئة اليومية كالدم أو النار لكن نرجع دائما الأولى عند تعريفه و هكذا يستنتج كلارك أن ما ينطبق من حقائق على المصطلحات اللونية ينطبق كذلك على مفردات اللغة .

قام عالم النفس ليونز Loyons عام 1981بدراسات ميدانية لقياس قابلية بعض اللغات على إحداث التأثير المتوقع في الذاكرة و الإدراك الحسي ، و معرفة قابليتها على تحويل كلمات اللون إلى الرموز ، فأثبت سلامة الفرضية :
لقد بيّن ليونز أن الهنود الحمر الذين يتحدثون لغة زدني فقط واجهوا صعوبة بالغة في تحويل اللون البرتقالي و اللون الأصفر إلى رموز ، لأنهم لا يدركون الفرق بين اللونين .أما الهنود الذين يتحدثون الإنجليزية فحسب ، أو لغة زدني و اللغة الإنجليزية استطاعوا أن يحولوا اللونين المذكورين بسهولة إلى رموز .

اللغة ممارسة فعلية لها أهدافها و أثارها .إنها رؤية تتجاوز الاعتقاد السائد الذي يرى أن اللغة وسيلة اتصال محايدة بين بني البشر .و من الدلائل النموذجية على أن اللغة فعل أن الزوج حين يقول لزوجته " :أنت طالق "فإنه لا يخبرها بخبر ، إنما يمارس فعلا اجتماعيا هو الطلاق، و هو فعل له دلالاته و عواقبه الاجتماعية .

أن دراسات ميشال فوكو حول الخطاب و دوره في التفاعل الاجتماعي ، و دراسات روجر فاولر ونورمان فيركلاف اللذين طورا النظريات الاجتماعية النقدية في ميدان اللسانيات ،

قد أجمعت أن اللغة تعكس الواقع بكل ما ينطوي عليه من صراع القوى المختلفة من جهة ، و تشارك في تشكل هذا الواقع من جهة أخرى .اللغة ، بتعبير آخر مصدر من مصادر السلطة الاجتماعية ، تحدد السلوك المقول لدى المجتمع .اللغة شديدة الصلة بمنظومة القيم و الثقافة في المجتمع .

لاحظ ليتش , Leachفي كتابه الشعائرية بالنظر إلى تطور التصورات الاجتماعية Ritualisation par rapport à développement conceptuel et socialأن الطقوس الشعائرية عادة ما توحد بين الكلام و المكونات الإيمائية، يقول :تحدث في العادات الطقسية أنواع معينة من المعلومات التي لا تلفظ من المؤدين مطلقا ، بل يعبر عنها في الأداء فقط .و على أية حال فإن هذا الموروث السيمنيائي يعتمد دائما على نموذج لفظي هيكلي ينتقل من جيل إلى جيل .

لقد بين كالام كريول Calame - Griaule في كتابه علم الأجناس و اللغة Ethnologie et langageأن للغة فوائد عديدة في الحياة الجنسية و المجتمعية و الدينة ، و أن للسلوك اللفظي دور حاسم في الميدان الكلي للأنثروبولوجية الاجتماعية .يكشف تواصل الأزواج و البضائع و الخدمات و كل أشكال النشاط في المجتمع على تداول لرسائل مساعدة لفظية و غير لفظية .

أنواع وسائل الاتصال و خصائص كل منهما :

عندما نتحدث عن وظيفة اللغة كوسيلة للاتصال بين الناس ، نجد أنفسنا نحدث عن ثلاثة قضايا مختلفة ، و هي :

1- الاتصالات السلكية و اللاسلكية :

و تعتمد هذه الوسائل على قياس و تحليل مادة اللغة الإنسانية ، أي الصوت و تحويله من طاقة إلى أخرى ، ثم نقله و توزيعه عبر الأسلاك أو الهواء .و طبيعة الصوت التي تعتمد عليها

هذه الوسائل من الاتصالات ، ليست موضوعا يختص به علماء اللغة فحسب ، و إنما يدرسه علماء علم الفيزياء .لذلك نكتفي بهذه الإشارة إلى هذه الناحية فحسب .

2- نظرية المعلومات أو الاتصال : théorie de la communication :

و هي نظرية علمية ، تقوم على الرياضيات .وضع أسسها النظرية الأولى المهندسون المختصون بتصميم الدوائر الكهربائية الضرورية لشبكات الهاتف و التلغراف .و قد كان هدفهم الأساسي أن ينتجوا معدات ذات حد أقصى من الكفاءة في استعمال القنوات , cannelles و هذا يتطلب طريقة لقياس السعة capacité النظرية لكل قناة ، بالإضافة إلى مقدار تلك السعة المستعملة في البث بنظام رمزي للاتصال code

تهتم نظرية الاتصال بقياس كمية المعلومات التي تحملها إشارة معينة un signalفي سياق معين .و ننبه هنا أن المعلومات في هذه النظرية تزداد بازدياد عدد الإشارات ، فلو فرضنا أن خالد اتفق مع عمر على نظام للاتصال مكوم من حركتين ضوئيتين :الأولى إشارة ضوئية واحدة و تشير أن في بيت عمر شخص غريب ، و الثانية إشارتان ضوئيتان تدل على عدم وجود أي شخص في بيت عمر .هذا النظام نظام بسيط لأن سعته بسيطة و محدودة . أما إذا زادت الإشارات فأن كمية معلومات النظام تزيد تبعا لعدد الإشارات .و قد اتفق العلماء على قياس المعلومات بوحدة تسمى ، . bit

و الجدير بالذكر أن علماء اللسانيات قد استفادوا من المعادلات الرياضية التي صاغها أتباع نظرية المعلومات في الكشف عن بعض الخصائص اللغوية ، و من أهم هذه الخصائص خاصية الفائض .

3- وظيفة الاتصال اللغوية :

و هي ، و باتفاق أغلبية العلماء ، من أهم و أخطر وظائف اللغة جميعها، و نعني بها وظيفة التأثير على الآخرين أو وظيفة الإقناع persuasio

مفهوم الاتصال :

يعود أصل كلمة COMMUNICATION في اللغات الأوروبية إلى جذور الكلمة اللاتينية COMMUNIS التي تعني "الشيء المشترك "، و من هذه الكلمة اشتقت كلمة

COMMUNE , و التي كانت تعني في القرنين العاشر و الحادي عشر "الجماعة المدنية "بعد أن انتزع الفرنسيون و الإيطاليون حق الإدارة الذاتية للجماعات المحلية ، ثم اكتسبت الكلمة المغزى السياسي و الأيديولوجي في القرن الثامن عشر فيما عرف بـــ " كومونة باريس ."

أما الفعل اللاتيني لجذر الكلمة COMMUNICARE فمعناه " :أذاع أو أشاع "ومن هذا الفعل اشتق من اللاتينية والفرنسية نعت COMMUNIQUE الذي يعني " :بلاغ رسمي " أو بيان أو توضيح حكومي .

تعددت المفاهيم الاتصال بتعدد المدارس العلمية والفكرية ، و بتعدد الزوايا النظر ، غير أنه على المستوى النظري العام يمكن تصنيف تعريف الاتصال إلى مجموعتين :

-المجموعة الأولى :

و ترى أن الاتصال هو عملية يقوم فيها المرسل بإرسال رسالة إلى المرسل إليه ، مما يؤدي إلى إحداث أثر معين على متلقي الرسالة . لذلك فإن هذه المجموعة تهدف إلى تعريف المراحل التي يمر بها الاتصال ، و تدرس كل مرحلة على حدة للتعرف على هدفها و تأثيرها على عملية الاتصال ككل .

و في ضوء المجموعة الأولى ، عرف بعض الباحثين الاتصال بالنظر إليه كعملية يتم من خلالها نقل معلومات أو أفكار معينة ، على نحو هادف يحقق التفاعل بين المرسل و المرسل إليه . و من نماذج هذه التعريفات :

-الاتصال هو العملية التي يتم من خلالها نقل رسالة معينة أو مجموعة من الرسائل من مرسل أو مصدر معين إلى مستقبل .أما الاتصال الجماهيري فهو ذلك النمط من الاتصال الذي يتم بين أكثر من شخصين لإتمام العملية الاتصالية والتي غالبا ما تقوم بها بعض المؤسسات أو الهيئات عن طريق رسائل جماهيرية .

-الاتصال هو نقل أو انتقال للمعلومات و الأفكار والاتجاهات أو العواطف من شخص أو جماعة لآخر أو للآخرين من خلال رموز معينة.

-الاتصال عملية تحدد الوسائل والهدف الذي يتصل أو يرتبط بالآخرين ، ويكون من الضروري اعتباره تطبيقا لثلاثة عناصر :العملية -الوسيلة -الهدف.

-الاتصال عملية تفاعل بين طرفين من خلال رسالة معينة ، فكرة ، أو خبرة ، أو أي مضمون اتصالي آخر عبر قنوات اتصالية ينبغي أن تتناسب مع مضمون الرسالة بصورة توضح تفاعلا مشتركا فيما بينهما.

-المجموعة الثانية :

و تعتبر أن الاتصال هو عملية تبادل المعاني الموجودة في الرسائل، و التي من خلاله ا يتفاعل الأفراد من ذوي الثقافات المختلفة ، لإتاحة الفرصة لتوصيل المعنى، و فهم الرسالة .لذلك فإن مجموعة الثانية ذات طابع تركيبي، تركز على العناصر الرئيسية المكونة للمعنى ، و التي تنقسم بدورها إلى ثلاث مجموعات رئيسية ، و هي :

أ -?الموضوع :إشارته ورموزه.

ب -قارئو الموضوع والخبرة الثقافية والاجتماعية التي كونتهم، والإشارات والرموز التي يستخدمونها.

ج -الوعي بوجود واقع خارجي يرجع إليه الموضوع الناس.

و على ضوء المجموعة الثانية التي ترى أن الاتصال عملية تبادل معاني ، يعرف بعض الباحثين الاتصال عملية اتكاء على وسيط لغوي ، إذ يشترك المرسل و المرسل إليه في إطار دلالي واحد ، ما يحقق بينهما التفاعل رمزي ، ومن هذه التعريفات :

-الاتصال تفاعل بالرموز اللفظية بين طرفين :أحدهما مرسل يبدأ الحوار ، وما لم يكمل المستقبل الحوار ، لا يتحقق الاتصال ويقتصر الأمر على توجيه الآراء أو المعلومات، من جانب واحد فقط دون معرفة نوع الاستجابة أو التأثير الذي يحدث عند المستقبل.

-الاتصال عملية يتم من خلالها تحقيق معاني مشتركة متطابقة بين الشخص الذي يقوم بالمبادرة بإصدار الرسالة من جانب والشخص الذي يستقبلها من جانب آخر.

والإعلام هو جزء من الاتصال ، فالاتصال اعم واشمل .أما الإعلام فهو عملية إخبارية ، تبدأ بمعرفة المخبر الصحفي بمعلومات ذات أهمية، ، ثم تتوالى مراحلها :تجميع المعلومات من مصادرها، نقلها، التعاطي معها وتحريرها، ثم إرسالها عبر صحيفة أو وكالة أو إذاعة أو تلفزة إلى طرف معني بها.

و الخلاصة أن مفهوم الاتصال يشترط وجود شخص أو هيئة أو فئة أو جمهور يهتم بالمعلومات فيمنحها أهمية ، ويكون الإعلام ناشئ عن تلك العملية الإعلامية ، و التي تقوم أساسا على المعلومات ، و على نشرها أو بثها .

-مكونات عملية الاتصال :

إن النظر إلى الاتصال ، بوصفه عملية ، يعني أن الاتصال لا ينتهي بمجرد أن تصل الرسالة من المصدر المرسل إلى المتلقي المستقبل ، و يعني ، بالمقابل ، أن هناك العديد من العوامل الوسيطة بين الرسالة و المتلقي .

في هذا الإطار المركز تطورت النماذج التي تشرح وتفسر عملية الاتصال بعناصرها المختلفة .ظهر في أول الأمر النموذج الخطي أو المباشر الذي يرى أن تلك العناصر هي مجرد المرسل والرسالة والمستقبل :

الشكل رقم : 1 الاتصال الخطي .

المرسل ———————— المرسل إليه

غير أن الدراسات التي أجريت منذ الأربعينيات من القرن العشرين بينت قصور النموذج الخطي ، وحطمت النظرية القائلة بأن لوسائل الإعلام تؤثر تأثيرا مباشرا على الجمهور ؛ لقد ظهرت العديد من النماذج والتي تطورت من الطبيعة الثنائية إلى الطبيعة الدائرية والتي على ضوئها تتكون عملية الاتصال من ستة عناصر أساسية ،و هي :

-1المصدر : SOURCE

و نعني به منشأ الرسالة ، و قد يكون المصدر فردا أو جماعة أو مؤسسة و كثير ما يستخدم بمعنى القائم بالاتصال .غير أن بعض الدراسات ترى أن كل من المندوب و المحرر و قارئ النشرة في التليفزيون هم بمثابة القائم بالاتصال ، و إن اختلفت أدوارهم بينما ترى دراسات أخرى أن قارئ المنشرة هو قارئ النشرة فحسب .

-2الرسالة : MESSAGE

وهي المنبه الذي ينقله المرسل إلى المرسل إليه ، و تتضمن المعاني من أفكار وآراء تتعلق بموضوعات معينة يتم التعبير عنها رمزيا باللغة المنطوقة أو غير المنطوقة .و تتوقف فاعلية الاتصال على الفهم المشترك

للموضوع واللغة التي يقدم بها ، تتوقف، كذلك ، على الحجم الإجمالي للمعلومات المتضمنة في الرسالة ، ومستوى هذه المعلومات من حيث البساطة والتعقيد :فإذا كانت المعلومات قليلة فإنها قد لا تجيب على تساؤلات المتلقي ، الأمر الذي يجعل الرسالة عرضة للتشويه .أما المعلومات الكثيرة فقد يصعب على المتلقي استيعابها ولا يقدر جهازه الإدراكي على الربط بينها .

-3الوسيلة أو القناة : CHANNEL

وتعرف بأنها الأداة التي بواسطتها يتم نقل الرسالة ، و تختلف الوسيلة باختلاف مستوى الاتصال، فهي الاتصال الجماهيري تكون الصحيفة أو المجلة أو الإذاعة أو التلفزيون ، وفي الاتصال الجمعي مثل المحاضرة أو خطبة الجمعة أو المؤتمرات تكون الأداة هي الميكرفون .و قد تكون في بعض مواقف الاتصال الجمعي مطبوعات أو أفلام فيديو إما في الاتصال المباشر فإن الوسيلة لا تكون ميكانيكية صناعية و إنما تكون طبيعية كاللغة أو الإشارة .

- 4المستقبل :

وهو الجهة أو الشخص الذي توجه له الرسالة ويستقبلها من خلال أحد أو كل حواسه المختلفة ، ثم يقوم بتفسير رموز ويحاول إدراك معانيها .

- 5التغذية العكسية أو الاستجابة :

و هي إعادة إرسال الرسالة من المستقبل إلى المرسل واستلامه لها وتأكده من أنه تم فهمها، والمرسل في هذه الحالة يلاحظ الموافقة أو عدم الموافقة على مضمون الرسالة ، ويشير بعض الباحثين إلى أن سرعة حدوث التغذية العكسية تختلف باختلاف الموقف ، فمثلاً في المحادثة الشخصية يتم استنتاج ردود الفعل في اللحظة نفسها بينما ردود الفعل لحملة إعلانية ربما لا تحدث إلا بعد فترة طويلة ، وعملية قياس ردود الفعل مهمة في عملية الاتصال حيث يتبين فيما إذا تمت عملية الاتصال بطريقة جيدة في جميع مراحلها أم لا، كما أن ردود الفعل تبين التغيير بعملية الاتصال سواء على مستوى الفرد أو المنشأة .

الشكل رقم 2 الصورة البسيطة لعملية الاتصال

المستقبل — الوسيلة — الرسالة -- المرسل

بأي وسيلة ؟ بأي وسيلة ؟ يقول ماذا ؟ مـــــــــــــن ..؟ التغذية العكسية

ولأن عملية الاتصال لا تتم وفقاً للتقسيم السابق لعناصر الاتصال وإنما هو لغرض الدراسة النظرية فقط ، فقد طورت عدة نماذج لتوضيح خطوات الاتصال ، وتم إدخال عناصر أخرى -وإن كانت تستند على العناصر السابقة -ومن أشهر تلك النماذج نموذج ديفز الذي يقسم عملية الاتصال إلى ست خطوات متتالية هي :تكوين الفكرة لدى المرسل ، ثم تحويل الفكرة إلى رموز ، ثم نقل الرسالة خلال قناة الاتصال ، ثم تسلم الرسالة ، ثم تفسير الرموز وتحويلها إلى رسالة مرة أخرى ، ثم القيام بعمل أو تصرف ما .

شكل رقم : 3عمليات الاتصال عند ديفز

التصرف – التفسير -- تفسير الرموز-- تسلم الرسالة -- نقل الفكرة خلال قناة اتصال -- تحويل الفكرة إلى رموز -- تكوين الفكرة لدى المرسل .

وسائل الاتصال :

توجده عده وسائل أو أساليب للاتصال ، وسوف نقتصر هنا على ثلاثة وسائل مهمة :

-1الوسائل الشفهية :

وهي الوسائل لتي يتم بواسطتها تبادل المعلومات بين المتصل والمتصل به شفاهة عن طريق الكلمة المنطوقة لا المكتوبة مثل المقابلات الشخصية ، والمكالمات الهاتفية ، والندوات والاجتماعات ، المؤتمرات ، و يعتبر هذا الأسلوب أقصر الطرق لتبادل المعلومات والأفكار وأكثرها سهوله ويسراً وصراحة ، إلا أنه يعاب أنه يعرض المعلومات للتحريف وسوء الفهم .

-2الوسائل الكتابية :

وهي الوسائل لتي يتم بواسطتها تبادل المعلومات بين المتصل والمتصل به عن طريق الكلمة المكتوبة مثل الأنظمة والمنشورات والتقارير والمذكرات والمقترحات والشكاوى ...الخ .و يشترط في الاتصال المكتوب خمسة شروط ، تبدأ جميعاً بحرف c، وهي أن تكون كاملة COMPLETE ، و مختصرة COCISE، وواضحة CLEAR ، وصحيحة CORRECT، و لطيفة COURTEOUS .

وتتميز الوسائل الكتابية بمزايا أهمها : إمكانية الاحتفاظ بها والرجوع لها عند الحاجة وحماية المعلومات من التحريف وقلة التكلفة ، أما أهم عيوبها فهي : البطء في إيصال المعلومات ، تأكد احتمال الفهم الخاطئ لها خصوصاً عندما يكون للكلمة أكثر من معنى .

3- الوسائل غير اللفظية :

وهي الوسائل التي يتم بواسطتها تبادل المعلومات بين المتصل والمتصل به عن طريق الإشارات أو الإيماءات والسلوك تعبيرات الوجه وحركة العينين واليدين وطريقة الجلوس ...الخ ، ويطلق عليها أيضاً لغة الجسم .وقد تكون هذه التلميحات مقصودة أو غير مقصودة من مصدر الاتصال وتصل نسبة استخدامها في الاتصال ما يقرب من 90% من المعاني وبصفة خاصة في الرسائل التي تتعلق بالأحاسيس والشعور ، ويختلف فهم الرسائل غير اللفظية بسبب اختلاف الثقافات .

-وظائف وسائل الإعلام الجماهيرية :

دور وسائل الإعلام في المجتمع هام جدا إلى درجة خصصت الحكومات أقساما ودوائر ووزارات إعلام تتولى تحقيق أهداف داخلية وخارجية عن طريق تلك الوسائل ، من تلك الأهداف رفع مستوى الجماهير ثقافي ، وتطوير أوضاعها الاجتماعية والاقتصادية ، هذا داخليا .

أما خارجيا فمن أهداف دوائر الإعلام تعريف العالم بحضارة الشعوب ووجهات نظر الحكومات في المسائل الدولية.

و لم يقتصر اهتمام وسائل الحكومات بوسائل الإعلام، بل أن مؤسسات اجتماعية وسياسية واقتصادية اهتمت بها، و وجدت أن تلك الوسائل تخدمها وتخدم أهدافها وتساعد في ازدهارها.

وليس أدل على أهمية الإعلام ووسائله مما أصبح معروفا في العالم، من أن الدولة ذات الإعلام القوي تعتبر قوية وقادرة، فلقد أصبح الإعلام رئيسيا في بقاء بعض الدول وخاصة تلك التي وجدت فيه إحدى دعاماتها الرئيسية الأولى، وقدمته على باقي دعائم الدولة.

وسبب كل ذلك هو أن وسائل الإعلام مؤثرة في الجماهير وفاعلة سلبا أو إيجابا؛ فما هي وظائف تلك الوسائل ؟

يضطلع الاتصال والإعلام بوظائف أساسية،باعتباره نشاطا فرديا وجماعيا،يشمل كل الأفكار والحقائق والبيانات،والمشاركة فيها .ويمكن تحديد الوظائف الرئيسية التي يؤديها الاتصال والإعلام في أي نظام اجتماعي في الوظائـــف التالية :

1 - الوظيفية الإعلامية و الإخبارية :

و تتمثل في جمع وتخزين ومعالجة ونشر الأنباء والرسائل ، و البيانات والصور والحقائق والآراء والتعليقات المطلوبة من أجل فهم الظروف الشخصية والبيئية والقومية والدولية ، و التصرف تجاهها عن علم ومعرفة،والوصول إلى وضع يمكن من اتخاذ القرارات الصائبة .

2 ــ وظيفة التنشئة الاجتماعية :

و تنحصر هذه الوظيفة في توفير رصيد مشترك من المعرفة ، يمكن الأفراد من أن يعملوا كأعضاء ذوي فعالية في المجتمع الذي يعيشون فيه،ودعم التآزر والوعي الاجتماعيين،وبذلك تكفل مشاركة نشطة في الحياة العامة .

3ــ وظيفة خلق الدوافع :

و يقصد بذلك إن الاتصال والإعلام ، يساهم في دعم الأهداف المباشرة و النهائية لكل مجتمع ، و تشجيع الاختيارات الشخصية والتطلعات ودعم الأنشطة الخاصة بالأفراد و الجماعات ، و التي تتجه نحو تحقيق الأهداف المتفق عليها .

4 ــ وظيفة الحوار والنقاش :

يساهم الاتصال والإعلام في توفير وتبادل الحقائق اللازمة لتوضيح مختلف وجهات النظر حول القضايا العامة ، و توفير الأدلة الملائمة والمطلوبة لدعم الاهتمام و المشاركة على نحو أفضل بالنسبة لكل الأمور التي تهم الجميع محليا و قوميا وعالميا.

5ــ وظيفية التربية :

وتتمثل في نشر المعرفة على نحو يعزز النمو الثقافي ، و تكوين الشخصية و اكتساب المهارات و القدرات في كافة مراحل العمر .

6ــ وظيفة النهوض الثقافي :

يسعى الاتصال والإعلام إلى نشر الأعمال الثقافية والفنية بهدف المحافظة على التراث ، والتطوير الثقافي عن طريق توسيع آفاق الفرد و إيقاظ خياله ،و إشباع حاجاته الجمالية ، و تحرير قدراته على الإبداع .

7ــ الوظيفة الترفيهية :

و تتمثل في إذاعة التمثيليات الروائية والرقص والفن والأدب والموسيقى والأصوات والصور بهدف الترفيه والإمتاع على الصعيدين الشخصي والجماعي ، و التخفيف من المعاناة والصعوبات التي يواجهوها الناس في حياقم اليومية .

8ـــ وظيفة التكافل :

و تتمثل في توفير الفرص لكل الأشخاص و المجموعات و الأمم بما يكفل لهم الوصول إلى رسائل متنوعة تحقق حاجتهم في التعارف والتفاهم والتعرف على ظروف معيشة الآخرين و وجهات نظرهم و تطلعاقم .

وإلى جانب هذه الوظائف التي تنبع أساساً من وجهة نظر الفرد ، فإنه يتعين أيضاً التأكيد على ظاهرة جديدة وهي ظاهرة تتزايد أهميتها بسرعة ، فقد أصبح الاتصال و الإعلام حاجة حيوية للكيانات الجماعية والمجتمعات ، فالمجتمعات ككل لا يمكن أن تعيش وتستمر اليوم ما لم يتم إعلامها على نحو صحيح بالشؤون السياسية والأحداث الدولية والمحلية ، و الأحوال الجوية و ما إلى ذلك ،و تحتاج الحكومات إلى معلومات متنوعة ترد من كافة أنحاء العالم فيما يتعلق باتجاهات نمو السكان و إ نتاج المحاصيل و موارد المياه ...الخ .

المواقف و السياقات الكلامية و الاجتماعية

دعا ديل هايمز Dell Hymes علماء اللغة و الاجتماع و الأنثروبولوجية إلى البحث عن قواعد القدرة على التواصل أو ملكة التواصل , compétence communicative و التي تشمل القدرة اللغوية ، غير أنها تتعداها إلى استخدام اللغة في المجتمع ، و عن القواعد الاجتماعية التي تحكم ذلك الاستخدام

و على الرغم من مجهودات هايمز و أتباعه فإن الاهتمام الفعلي بالبعد الاجتماعي للغة لم يظهر إلا في العقد الأخير من القرن العشرين ، بعد أن اتضح أن نظرية تشومسكي قد بلغت من التجريد حدا متطرفا ، بحيث لم يصبح يفهمها إلا العلماء المتخصصون ، و بعد أن تأكد للدارسين عقم المحاولة للاستفادة من نظرية المذكورة في ميدان تعليم اللغات ، و ذلك لأنها اقتصرت على اللغة نفسها ،و أهملت المحيط الاجتماعي الذي تستخدم فيه .

يتفق علماء اللسانيات الاجتماعية على أن الجملة هي وحدة اللغوية الأساسية التي ينبغي التركيز عليها ، و على أن الكلام المتصل , discoursسواء كان شفويا oralأو نصا كتابيا , texte هو وحدة الدراسة .

الاهتمام بتحليل الكلام المتصل هو الوحدة التي تعبر عما يحصل فعلا في موقف معين ، و من ثم فإن تحليل الكلام المتصل على مستوى الجملة أو جزء من الجملة يسمح بالتعرف على الأجزاء المكونة للحوار بين شخصين ، أو للحديث بين أكثر من شخصين .

-الموقف و عناصره :الموضوع و اللغة بين الباث و المتلقي و الهدف .

درس أوستن John Austinو سيرل , John Searteثم من بعدهما هايمز Dell Hymesو جمبرز Gamperz John ظاهرة التواصل اللغوي ، و طرحوا مفهوما جديدا هو اثنوجرافيا التواصل ، , Ethnographie de la communication و هو مفهوم شامل يرى أن عملية التواصل تتألف من ثلاثة عناصر، هي :

-1الموقف التواصلي : situation de la communication

و نعني به الظرف الذي يتم فيه التواصل كأن يكون حصة في فصل دراسي ، أو محاضرة في مدرج الجامعة ، أو صلاة الجمعة في أحد المساجد ..الخ .

-2الحدث التواصلي : avènement la communication

و هو عدد من المواقف المؤلفة للموقف التواصلي ، فصلاة جمعة تتألف من نسق معين من الأحداث اللغوية المتتابعة و المعروفة سلفا .و قد يكون الحدث التواصلي ، في أحوال أخرى ، مكون من عدد غير معلوم من أحداث ، كما هو الشأن بنسبة للقاءات العادية بين الناس في واقع الحياة .

-3الفعل التواصلي : acte la communication

و نقصد به الأقوال اللغوية المكونة للأحداث و المواقف .و قد تكون لأفعال مكونة من عبارات معروفة ، كالتكرار للعبارات مرتين في الآذان مثلا .و قد تكون الأفعال ، كذلك ،

مؤلفة من عدد غير معروف العبارات ، كما هو الأمر بالنسبة للحوار الذي يتم إثر لقاء جرى بالصدفة .

توسع علماء اللسانيات الاجتماعيين في تحليل ظاهر التواصل ، فلم يكتفوا بالظواهر اللغوية ، و إنما تنالوا كل العناصر غير اللغوية ، كالإشارات ، و ملامح الوجه و ، الضحك ، و البكاء .,و اتفقوا على مكونات الحدث التواصلي و هي العناصر التالية :

1- نوع الحدث : و نقصد به هل هو حوار ؟ أو محاضرة ؟ أو الكثة ؟

2- موضوع الحدث :و نقد هل هو موضوع ديني ؟ أو اجتماعي ؟ ثقافي ؟

3- وظيفة أو غرض الحدث :و يشمل الهدف العام من الحدث بكليته ، و الوظائف المختلفة لأجزائه :فالحكاية ، مثلا ، لها في كليتها مغزى عام ، .كما أن لكل جزء من أجزائها هدف يحقق ، بدرجة ما ، المغزى العام .

4- المناسبة أو الموقف :و تشمل المكان و الزمان ، من وقت و يوم و شهر و موسم و سنة ، كما تشمل جميع تفاصيل المكان من حجم و أثاث ..الخ .

5- المشاركون في الحدث :و يتعلق ذلك بسن المشاركين و أجناسهم و مستوياهم الاجتماعية و الثقافية ..الخ .

6- صيغة الرسالة اللغوية :و تتصل بطبيعة الرسالة و هل هي كلام محكي أو مكتوب ؟ و تتصل كذلك بالأشكال اللغوية و غير اللغوية كاللغة أو اللغات أو اللهجات المستعملة ..الخ .

7- محتوى الرسالة :و تشمل المعاني و المشاعر التي تنقلها الرسالة .

8- تسلسل الكلام :و يتعلق بالأقوال المختلفة ، و بالكيفيات التي يأخذ بها المتكلمون أدوارهم ، و ما إلى ذلك .

9- قواعد التفاعل اللغوي :و نعني بها الأعراف و القواعد الاجتماعية التي ينبغي مراعاها أثناء الكلام .و هي تختلف باختلاف طبيعة الجماعية الاجتماعية أو الثقافية أو أعمار أفرادها .. الخ .

10-المفاهيم التي يتم على أساسها تفسير الأقوال :و تشمل المعتقدات و كل ما هو مشترك جامع لأفراد و فئات مجتمع معين ، و التي تسمح للفرد تأويل كل ما يسمع .

-أنواع المواقف الاجتماعية و أساليب الكلام و أنماطه :

اهتم العلماء اللسانيات الاجتماعية ، و إلى جانب مكونات عملية التواصل ، بتصنيف الأغراض أو الأهداف التي تستخدم اللغة لتحقيقها في رزم متشابهة .و يعد تصنيف عالم اللغة الإنجليزي مخائيل هلاداي Halliday Michaelمن أبرز التصنيفات للأغراض التي تقوم بها اللغة ، إذ حصرها في سبعة أصناف ، و هي :

1- التعامل مع البيئة لإحداث ظرف أو وضع معين :

و نقصد بوظيفة التعامل الأوامر ، و عبارات الرجاء ، و أحكام المحاكم ، و عبارات الزواج أو الطلاق ، و ما شابه ذلك من المواقف .

2- تنظيم الأحداث و اللقاءات بين الأفراد :

و تتجلى هذه الوظيفة في عبارات الموافقة أو الرفض ، الحوار أو المناقشة ، و عبارات القوانين و الأنظمة ، و إليها ...

3- المحافظة على العلاقات الاجتماعية العادية :

و تشمل أساليب الخطاب بين الأفراد ، و استخدام اللهجات أو اللغات الفنية الخاصة بفئة معينة ، و الأشكال الرسمية و غير الرسمية من اللغة ، و أنواع التحية المناسبة لكل فئة من الفئات الاجتماعية طبقة ، شريحة مهنية ، فئة من الأعمار , و أشكال تبادل الكلام المناسب في المناسبات المختلفة كالحفلات الرسمية أو العامة أو الشخصية ...الخ .

4- الوظيفة الإعلامية :

و نقصد بالوظيفة الإعلامية أو الإخبارية نقل الأخبار عن الحقائق أو الأحداث كشرح أمر أو تلاوة تقرير أو نقل معلومة من المعلومات العامة التي يتناقلها الأفراد أو وسائل الإعلام المختلفة

-5التعبير عن الانفعالات أو المشاعر الشخصية :

و نقصد بهذه الوظيفة التعبير عن مشاعر الفرح و السرور و السعادة و الحزن و الغضب و الاستياء و الاشمئزاز و الحب و الكره ، و ما إلى ذلك من عواطف و انفعالات مختلفة .

6- لتعبير عن أمور الخيالية :

و هي كل أشكال التعبير الإبداعية كالقصص و الروايات و الشعر و الأحاجي و الفوازير ، و كذلك كل أشكال الكلام الفارغ الهادف إلى التسلية .

7- الوظيفة التربوية و التعليمية :

و هي تتصل بأشكال التربية و التعليم الرسمية السائدة في المدارس و الكليات ، و بأشكال التربية العادية كأسئلة الأطفال أو التلاميذ أو الطلاب ..

و الجدير بالذكر أن هناك عدد لا حصر له من التصنيفات الهادفة إلى ضبط وظائف اللغة المتعددة و المتباينة ضمن عدد محدود من الوظائف المشتركة .

و قد اتجه علماء آخرون إلى تصنيف أغراض اللغة و وظائفها على أساس تحليل الأساليب اللغوية المختلفة التي يستعملها الأفراد في المواقف المتنوعة .

و قد أسس هؤلاء العلماء تصنيفاتهم على عدة عوامل ، أهمها :

- موضوع الكلام .
- المستمع .
- نوع الكلام كلام شفوي أو نص مكتوب .
- نوع الموقف و درجة موافقته للمواقف الرسمية و غير الرسمية .

و نعني بالعوامل المذكورة أن الأساليب اللغوية التي يستعملها الإنسان تتغير بتغير الموضوع من جهة و المشاركين أو المستمعين له من جهة أخرى ، كما يتغير بفعل طبيعة الكلام ، أو بفعل عوامل أخرى مجملها اجتماعية أو نفسية ، أو كلاهما معا .

يعد اللغوي مارتل جوس Martin Joos من أوائل اللسانيين الذين صنفوا الكلام إلى أساليب .و قد اعتمد في تصنيفه على معيار الرسمية , formalité إذ قسم الكلام ، سواء كان شفويا أو كتابيا ، إلى خمسة مستويات ، و هي :

1- المستوى الخطابي أو الجامد :

و هو أسلوب يستعمله المتكلم في مخاطبة جمهور كبير لا تربطه به أية رابطة شخصية . يتميز بانتقاء الكلام ، و استخدام أنواع من وسائل التعبير و البلاغة المختلفة .و بعبارة أخرى الأسلوب الجامد هو كلام رسمي جدا لدرجة اعتبار المستمع غير موجود لأنه لا يؤثر فيه بأي

شكل من الأشكال ، و من أمثلته :الأبحاث التي تلقى في المؤتمرات ، و المحاضرات التي تقدم في الجامعات ، و المقالات الجدية العلمية أو الفكرية التي تخلوا من التعبيرات الانفعالية أو الشخصية ، و التي ينصب فيها الانشغال على الموضوع ذاته و ذلك بإعطائه كل ما يستحق من الشرح و التحليل و المناقشة .

-2 الأسلوب الرسمي :

و هو يشبه ، و إلى حد ما ، الأسلوب الجامد، لكنه أقل جمود ، إذ يحتوي على بغض الخواص الشخصية .يستعمل في المحاضرات الجامعية الموجة للفصول الصغيرة ، أو في المقالات الجادة ، و التي تستدعي التعبير عن وجهات النظر الشخصية .يدل على المسافة البعيدة بين المتكلم و المستمع ، كما يحدث عندما يكلم الموظف مديره ، أو التلميذ أستاذه ..

-5 الأسلوب الاستشاري :

و هو أسلوب فيه كثير من الأسلوب الرسمي ، و غير أنه بخلاف الأسلوب الخطابي أو الجامد يتطلب اشتراط و استجابة المستمع ، و لا يخطط له المتكلم بعناية بالغة ، كما يتجنب استعمال العبارات المستهلكة ، بل بإمكانه أن يستخدم بعض الأشكال اللغوية المختصرة التي تستخدم في الحديث العادي .و يستعمل في الأحاديث الجدية بين الناس كالمعاملات التجارية ، و حوار المحامي مع موكله ، و حوار الطبيب مع المريض ، و الاستجوابات في المحاكم أو أديرة الشرطة .

-6 الأسلوب العادي :

يستخدم بين زملاء المهنة و المعارف و بعض الأصدقاء .لا يتقيد فيه المتكلم كثيرا بانتقاء الكلمات أو العبارات ، بل يجري بعفوية .

-7 الأسلوب الودي :

و يستخدم ، عادة ، بين أفراد الأسرة أو الأصدقاء الحميمين أو الأحباب .يتميز بالعفوية و تجنب كل أشكال التحفظات .يستعمل الألفاظ و العبارات المعبرة عن الانفعالات و العواطف يختلف باختلاف المجتمعات ، و اختلاف التقاليد و العلاقات الإنسانية و الاجتماعية ..

الواقع أن الأساليب المذكورة قد لا يستعمل الناس واحدا منها في جميع المناسبات ، و إنما اختار الأسلوب يتوقف على نظرة المجتمع إلى الأساليب اللغوية ككل و إلى وظائف التي تقوم بها تلك الأساليب .إن قرب أو بعد استخدام الفرد لأسلوب من الأساليب الخمسة يرتبط .بمعيار الشكل المقبول اجتماعيا لدى الغالبية من الفئات الاجتماعية ، و على الخصوص فئة المتفقين . و مدى توفق الفرد في تنفيذ المعيار المذكور يتوقف على عوامل كثيرة ، منها :

1- خلفية الفرد الأسرية أو الاجتماعية .

2- الإقليم الجغرافي الذي يقطن فيه أو ينتمي إليه .

3- مستوى الفرد الثقافي و معتقداته السياسية و الاجتماعية ..

4- الموضوع الذي يتحدث فيه .

5- المقام الذي يقال فيه الكلام ، و من الأمثلة الدالة على ذلك أنه إذا تحدث رجل دين بالفصحى أثناء عقد قران ، فإن ذلك يكون مقبولا اجتماعيا .غير أن رجل الدين إذا حدث بقال أو خضار بالفصحى ، فإن ذلك لا يقبل منه .

و كثير ما يتم في الحوار الواحد و المناسبة الواحدة ، من أسلوب إلى أسلوب ، لكي يؤدي الأسلوب الجديد وظيفة جديدة .لاحظ الدارسون لخطب الرئيس المصري الراحل جمال عبد الناصر ، أنه أحيانا في اللقاءات الجماهيرية ، ينتقل انتقالا مفاجئا من استعمال اللغة العربية الرسمية إلى استعمال اللهجة المصرية العامية بهدف التقرب من الجماهير غير المثقفة التي تعجب بالفصحى لكنها لا تتجاوب كليا معها ، و بهدف الوصول إلى أعماق شعور الجماهير و التأثير فيه ، و إشعار المحكومين بأن الحاكم فرد منهم لا يتمايز عنهم .

و كثيرا ما يقرر الفرد المتكلم أن يستعمل أسلوبا معينا من غير أن يقتضيه المقام أو المناسبة .يلجأ لذلك بدافع إثبات هويته أو التعبير عن مشاعر التعالي المتعلقة بالانتماء إلى إحدى الطبقات السائدة في المجتمع .

الخاتمة :

اللغة ، كما تبين من مجمل المحاضرات ،ظاهرة اجتماعية .و هي تكوّن الرابطة الاجتماعية ، و أنها مستقلة عن أفراد المجتمع الذين يتكلمونها ، و بالرغم من عموميتها ، فهي غير خاضعة لأي فرد ، بل أن كل أفراد المجتمع خاضعون لها .

اللغة مثلها مثل كل المؤسسات الاجتماعية تعكس كل ما يجري في المجتمع الذي يستعمله ، و المجتمعات الإنسانية بطبيعتها مبنية على التنوع و أساسها الصراعات و التناقضات .لذلك تكون اللغة نشاطا اجتماعيا متحولا ، و ليس
كيانا موحدا .

المراجع :

-1حساني أحمد :مباحث في اللسانيات .ديوان المطبوعات الجامعية .الجزائر .ط 1994

-2جورج كلاس :الألسنية و لغة الطفل العربي .بيروت .دار الملايين للنشر .ط 1981 العربي .ط . 2002

-3خولة طالب الإبراهيمي :مبادئ في اللسانيات .دار القصبة للنشر .الجزائر .ط 2000 .

-4رومان جاكبسون :الاتجاهات الأساسية في علم اللغة .ترجمة :علي حاكم صالح و حسن ناظم .دار البيضاء .المغرب .المركز الثقافي

-5د .وليد محمد مراد :المسار الجديد في علم اللغة العام .

-6فرديناند دو سوسير :محاضرات في الألسنية العامة :ترجمة يوسف غازي و مجيد نصر . المؤسسة الجزائرية للطبع .ط 1986 :

-7دوني كوش :مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية :ترجمة :د :قاسم المقداد . منشورات اتحاد الكتاب العرب .سوريا .دمشق 1990

-8مارتينه أندري :مبادئ ألسنية عامة .ترجمة ريمون رزق الله .بيروت .دار الحداثة .ط الأولى .

.-9مازن الوعر :دراسات لسانية تطبيقية .دمشق .دار طلاس .ط 1989 :

10- غي روشيه :مدخل إلى علم الاجتماع .ترجمة :د .مصطفى دندشيلي .بيروت .
المؤسسة العربية للدراسات و النشر .ط 1
11- نايف خرما :أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة .الكويت سلسلة عالم المعرفة .
طبعة 1978
12- خليل أحمد خليل :معجم مفتاح العلوم الإنسانية .

- فصول -مجلة النقد الأدبي -عدد خاص بالأسلوبية :.درويش أحمد .مقال :الأسلوب
و الأسلوبية -مدخل في المصطلح و حقول البحث و مناهجه .الهيئة المصرية العامة للكتاب .
المجلد الخامس .العدد الأول

- د .ميخائيل اسعد :نمو الشخصية و النمو الاجتماعي في مرحلة الرضاعة .ملف إنترنت
.
- بيل زكـــــار :البعد المعاصر للاتصال و الإعلام .ملف إنترنت
- عبد الله صلاح الشلاحي :تعريف علم التربوي .ملف من انترنيت .
- عبد الله الحراصي :مظاهر التفاعل بين اللغة و السياق الاجتماعي .ملف إنترنت
- Bowie Malcolm: لاكان العودة إلى فرويد وأسلحة التحليل النفسي .ترجمة :
عبد المقصود عبد الكريم أستاذ في التحليل النفسي من مصر . 16/06/2002 ملف إنترنت .
- عبد لرحمن العلوي :اللغة العربية في مواجهة الغزو الحضاري .ملف إنترنت
- جلبير غرانغيوم :المواجهـــة باللغـــــات .ترجمة :محمد أسلي .ملف إنترنت

- encyclopédiques, copyright © 2001 Hachette Multimédia / Hachette Livre, fichier -sociolinguistique : Copyright © 2001 Yahoo! France.
-Le Petit Larousse Copyright © Larousse / VUEF 2001